# الفصل السابع

## من قضايا المشرق العربي ومراحل كفاحه حتى الاستقلال

- العراق في التاريخ الحديث والمعاصر.
- سورية من الاحتلال إلى مابعد مرحلة الاستقلال .
- لبنان في التاريخ الحديث والمعاصر
- المملكة الاردنية الهاشمية .
- الكويت .
- القضية الفلسطينية وواقعها المعاصر.

وترجع أهمية العراق بالنسبة لبريطانيا إلى موقعه الاستراتيجي كقاعدة للطريق البرى إلى الهند ، وإلى امكانية استخدام ارضه كقاعدة جوية للطيران التجارى والحربى هذا إلى جانب أهميته الاقتصادية خاصة البترول . واستندوا في ذلك إلى أن عصبة الأمم قد عهدت اليهم بالانتداب على العراق فحاولوا التدخل في كل أمر من أموره ولكن نتيجة لتصميم العراقيين على الاستقلال ، ورغبة بريطانيا في معالجه المسألة العراقية بالحذر التام ابدى الانجليز استعدداهم للمساومة ، فوقعوا معاهدة مباشرة مع العراق في العاشر من اكتوبر ١٩٢٢ اعترفوا فيها باستقلال منقوص للعراقيين خاصة وان بريطانيا فرضت بعض الشروط منها:

١- حق تعيين مستشارين للحكومة العراقية .

٢- مساعدة الجيش العراقى والاشراف على شئونه

٣-حماية الاجانب .

٤-تقديم المشورة للعراق فى المسائل المالية

٥-تقديم المشورة للعراق حول المسائل السياسية الخارجية

والوقع ان هذه المعاهدة لم تكن لتختلف كثيرا عن وثيقة الانتداب مما جعلها تلقى معارضة شديدة من الوطنيين الذين رأوا في نصوصها غبنا لبلادهم ، وفيما بين عامى ١٩٢٤ - ١٩٣٠ ازدادت مطالب العراقيين لمزيد من الاستقلال فعقدت معاهدة في يناير ١٩٢٦ وأخرى في ديسمبر ١٩٢٧ وكلاهما خففت بعض الشيء من وطأة السيطرة البريطانية ، وأشتد الأخذ والرد بين العراقيين والانجليز وكاد الموقف يتدهور مما جعل الانجليز يوافقون على تعديل المعاهدة في عام ١٩٣٠ والتى نصت على اقامة تحالف مدته ٢٥ عاما بين بريطانيا والعراق ، وأكدت عزم بريطانيا على مساعدة العراق في الدخول في عصبه الأمم عام ١٩٣٢ ، وأعلنت استقلال العراق الكامل وانهاء الانتداب وقت دخول العراق عصبة الأمم كذلك نصت المعاهدة على مساعدة بريطانيا في الدفاع عن العراق في حالة الحرب على أن يقدم العراق كل التسهيلات لبريطانيا خلال الحرب ، كما نصت المعاهدة على أن تؤجر العراق للانجليز بعض القواعد الجوية .

والجدير بالذكر أن هذه المعاهدة مثلت نموذجا للمعاهدات التى عقدتها انجلترا وفرنسا مع الدول العربية بعد ذلك ومن أمثلة ذلك معاهدة ١٩٣٦ مع فرنسا ، والمعاهدة التى عقدتها فرنسا مع سورية ولبنان في نفس العام .وكنتيجة لهذه المعاهدة دخل العراق عصبة الأمم كدولة مستقلة ذات سيادة .

وبعد وفاه الملك فيصل في عام ١٩٣٣ خلفه ابنه غازى الذى كان يبلغ من العمر ٢١ عاما وكانت تنقصه الخبرة ولا يقدر المسئولية وشغف بهواية سباق السيارات اكثر من انشغاله بالأمور العامة في بلاده وقد عرف الملك غازى بعدائه للانجليز . وفى ابريل ١٩٣٩ توفى الملك غازى فى حادث سيارة قرب بغداد ، واتهم الانجليز بمقتله .

وقد خلف غازى ابنه الصغير فيصل الثانى وبسبب صغر سنه تم انشاء نظام الوصاية برئاسه خاله عبد الاله الذى كان من أعوان الانجليز ، واستمر الأمر على ذلك حتى عام ١٩٥٣ حيث بلغ فيصل سن الرشد فاستلم مهام الملك . وخلال الفترة التى اعقبت معاهدة ١٩٣٠ ظل رجال العراق يسعون لإزالة القيود والشروط التى تضمنتها هذه المعاهدة ، وفى تلك الفترة ازداد الدور الذى يلعبه الجيش العراقى في السياسة وظهر ذلك في أكتوبر عام ١٩٣٦م . عندما قام

الجيش بقيادة " بكر صدقى " بانقلاب وأرغم وزارة الجنرال " ياسين الهاشمى على الاستقالة وبقيام الحرب العالمية الثانية وجنوح الانجليز إلى تشديد قبضتهم على العراق قامت ثورة ١٩٤٠ بزعامة رشيد عالى الكيلانى وأطاحت بحكومة الوصى وأقامت حكومة " الدفاع الوطنى " من ضباط حربيين ثم خلع الوصى واستبدل به أحد نقباء الأشراف ، ولكن الإنجليز استطاعوا السيطرة على الموقف خشية التدخل الألمانى وهزموا الكيلانى واضطروه إلى الفرار ، وفى يونيه ١٩٤١م . أرسلت الحكومة البريطانية رسالة توضح فيها احترامها لاستقلال العراق . ومع ذلك فان العراق لم تعتبر نفسها في حالة حرب مع ألمانيا وإيطاليا واليابان إلا في عام ١٩٤٣م ، ولما انتهت الحرب طالبت الصحف العراقية بتخفيف القيود المفروضة على العراق والرجوع إلى نظام الحكومة الحزبية وفى يناير ١٩٤٨م وقعت معاهدة إنجليزية عراقية تركت لبريطانيا تسهيلات عسكرية مما أثار الشعب العراقى وفى سنة ١٩٥٥م عقد بين العراق وإنجلترا اتفاقية أنهيت بها أحكام المعاهدة وتعهدت إنجلترا بالجلاء عن العراق وتسليم المطارات الإنجليزية للحكومة العراقية مقابل موافقة العراق على الاشتراك في حلف مع تركيا وبعض دول الشرق الأوسط وعلى قبول المساعدات البريطانية والدفاع عن العراق في حالة تعرضه لأى هجوم على أن يستمر الاتفاق لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد .ولقد اثار هذا الاتفاق ضجة في العالم العربى الذى كان يأمل في أن يخرج العراق من الدائرة الانجليزية ، كما أخذ الصراع يشتد بين الجماعات الوطنية في العراق وحكامه الذين جعلوا من العراق حصنا للاستعمار وقد بلغ ذلك ذروته في ١٤ يوليو ١٩٥٨ وانفجر في شكل حركة عسكرية أطاحت بالحكم الملكى واعلنت النظام الجمهورى ، واخرجت العراق من حلف بغداد [١] وبدأ العراق يختط له طريقا آخر غير الطريق الذى رسمته له القوى الاستعمارية من قبل

ولكن الرياح غالبا لا تأتى بما تشتهى السفن فبعد تولى عبد الكريم قاسم رئاسة الحكومة وقيادة الجيش عمل على الانفراد بالسلطة فازاح زميله عبد الرحمن عارف لانه كان يمثل نقطة قيادية في العراق وبدأت امارات الانحراف تظهر في سياسته خاصة بعد بطشه بالوطنيين ، ونجاح الشيوعيين في السيطرة عليه عن طريق الادعاء بأنهم يريدون أن يكون الزعيم الاوحد في العراق [٢] يضاف إلى ذلك أنه قام بشن عملية أبادة حقيقية ضد معارضيه أسفرت عن سقوط آلاف الضحايا كما تميزت سياسته الخارجية بالعديد من الازمات مع الدول العربية ، وانتهى أمره بانقلاب عسكرى أطاح به في الثامن من فبراير ١٩٦٣ وتسلم الحكم من بعده عبد السلام محمد عارف الذى استمر في الرئاسة حتى سقطت به الطائرة في البصرة عام ١٩٦٦ . وقد تسلم رئاسة الجمهورية بعد الرئيس عارف أخوه عبد الرحمن عارف الذى استمر في الحكم حتى استطاع حزب البعث العربى الاشتراكى أن يقوم بانقلاب عسكرى عليه فى ١٧ من يوليو ١٩٦٨ ويتسلم السلطة .

وبعد أن تسلم حزب البعث ادارة دفة أمور العراق ، تولى الفريق احمد حسن البكر رئاسة الجمهورية ، وفى عام ١٩٧٩ تنازل عنها للرئيس صدام حسين .

---

[١] دورورة : مرجع سابق ص٦٦٦

[٢] أحمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ص٢٧ - ٢٨.

## الحرب العراقية الايرانية:

وبعد قيام الثورة في ايران ، بدأت النوايا الاستفزازية ضد العراق تتضح في تصريحات القادة الايرانيين ، فتعرضت المصالح العراقية في ايران لأعمال عنف واعتداء ، كما اخذت ايران في انتهاك روابط حسن الجوار مع العراق فبدأت تتدخل في شئونه عن طريق تشكيل امتدادات تنظمية لما يسمى بحزب الدعوة الذى يقوم بمساندة الحركات المناهضة ضد العراق ، والى جانب ذلك تعرضت حدود العراق الشرقية ومجاله الجوى إلى العديد من التجاوزات التى شملت قيام الطيران العسكرى الايرانى باختراق حرمة الاجواء العراقية وقصف المخافر ، والأراضى والقرى الحدودية ، ومهاجمة دوريات الشرطة ،وحرس الحدود داخل الأراضى العراقية ، وكذلك انتهاك حرمة المياه الاقليمية العراقية والاعتداء عليها .

ونتيجة لذلك اندلعت نيران الحرب بين العراق وايران ثم دخلت هذه الحرب مرحلة خطيرة من التصعيد الشامل لحرب الناقلات وضرب الاهداف الاقتصادية والصناعية للعراق فقد واصلت ايران ضرب الناقلات في المياه الدولية بالخليج ، وقصف المدن والمراكز السكانية العراقية خاصة مدينة البصرة .

وفى نفس الوقت قامت الطائرات العراقية بغاراتها على العمق الايرانى والأهداف البحرية الايرانية ، واستمرت الحرب بين الدولتين المسلمتين تحصد الأرواح وتأكل الثمار وخطط التنمية والثروات ، وكادت تتسع دائرتها لتشمل دولا أخرى فى المنطقة

ونظراً لخطورة الحرب على الأمن والسلام الدوليين ، والخسائر المادية والبشرية التى تعرض لها البلدان في أطول حرب وقعت ، وأكثرها شراسة وقداحة وبشاعة من حيث خسائرها البشرية والمادية بدأ المجتمع الدولى يحاول وضع حد فورى للنزاع فأصدر مجلس الأمن الدولى قراره رقم (٥٩٨ ) والذى يقضى بوقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين وانسحاب كافة القوات الى الحدود المعترف بها دوليا، وارسال فريق من مراقبى الأمم المتحدة لتنفيذ وقف اطلاق النار ، وتأكيده والاشراف عليه ، وأن يتم اطلاق سراح اسرى الحرب ، واعادتهم الى بلادهم وفقا لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة ١٩٤٩م

وبعد صدور القرار بات من الواضح ان هناك ارادة دولية تحبذ وقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين وقد تمسك العراق بتنفيذ القرار ، ورحب بتنفيذه في حين طالبت طهران بتحميل العراق مسئولية تفجير النزاع ، وأصرت على تحديد الطرف البادئ بالحرب ، وفرض العقوبات الصارمة عليه قبل وقف اطلاق النار ، واستمرت الحرب بين البلدين ولكن اصرار المجتمع الدولى على ايقاف الحرب ونتيجة للمقاطعة التجارية والعسكرية التى فرضتها الولايات المتحدة والدول الأوربية على ايران أجبرت ايران في نهاية الأمر على وقف اطلاق النار ، والدخول في المفاوضات تحت اشراف الأمم المتحدة بجنيف .

وقد استحوذت مسألة السلام بين العراق وايران ، وسبل الانتقال من حالة وقف اطلاق النار الى حالة السلام اهتمام المسئولين في العديد من الدول وعلى كل حال فان هذه الحرب قد أدت الى تمزيق الصف الاسلامى في وقت كان في أشد الحاجة فيه الى الوحدة والترابط مما أتاح للقوى الخارجية العمل على استغلال هذا الصراع للاخلال بموازين العلاقات في العالم الاسلامى ، ومما جعل اسرائيل تنتهز فرصة اشتعال هذه الحرب ، وتقوم بضرب المفاعل النووى العراقى على أطراف بغداد في يونيو من عام ١٩٨١ هذا الى جانب قيامها بتزويد ايران بالأسلحة والمعدات الحربية لضرب العراق .وفى الوقت الذى كان ينتظر فيه العالم العربى الدعم والمساندة من العراق ، قام الرئيس العراقى بغزو الكويت في الثانى من أغسطس

١٩٩٠ مما أدى الى تفتيت شمل العالم العربى ، واهتزازه أمنيا واقتصاديا واجتماعيا ، وانتهى الأمر باصدار مجلس الأمن لقراراته بشأن انسحاب العراق من الكويت ، ورفض العراق لهذه القرارات وقيام الحرب بين قوات التحالف وقوات صدام حسين التى انتهت بهزيمة الجيش العراقى واعادة السيادة الى الكويت ، وتأخير المنطقة العربية تنمويا وعمرانيا مراحل زمنية ترمم خلالها بنيتها وتستعيد توازنها واستقرارها .

## ٢- سورية من الاحتلال الى ما بعد الاستقلال

اتفق الحلفاء قبيل الحرب العالمية الأولى وخلالها على فرض سيطرتهم على أملاك الدولة العثمانية ومنذ أن قامت حكومة الأمير فيصل في دمشق عام ١٩١٨ والسوريون يناضلون من أجل توحيد سورية الكبرى (لبنان وشرق الاردن وفلسطين ) وقد بعث فيصل بشكرى الأيوبى حاكما على لبنان والسواحل السورية قبل مجيء القوات الفرنسية فرفع الأعلام العربية على مقر الحكومة هناك ، ثم أخذ يوطد السيادة العربية عليها ولكن بمجيء القوات الفرنسية بقيادة الجنرال " غورو " تغيرت الأمور فأرغم الأيوبى على طى اعلامه والعودة إلى دمشق ، حيث تمكن الفرنسيون من احتلال هذا القسم من بلاد الشام ومن ثم نشب صراع بين رجال الحركة الوطنية العربية وفرنسا التى كانت ترى أن جميع بلاد الشام في نطاق نفوذها الاستعمارى طبقا لاتفاقية سايكس بيكو كان في نتائجه تمرد سوريا على الاستعمار الفرنسى واعلان استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية في عام ١٩٢٠ تحت رئاسة الأمير فيصل وتقاربت الاحزاب السورية بعضها من بعض ، وألفت اللجنة الوطنية العليا وعن تفاصيل تنصيب الأمير فيصل ملكاً تذكر جريدة الأهرام أنه أثناء حفل المبايعة قدم بطريرك الروم الأرثوذكس باسمه وباسم الرؤساء الدينيين صكاً للأمير نصه باسم الله لما كان قد وقع اختيار الأمة السورية على تمليك سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين على سوريا بحدودها الطبيعية حضرنا اليوم في دائرة بكوية دمشق العاصمة لتأدية فروض المبايعة فبالأصالة والنيابة تقرر مراعاة الشرائط السبعة التى ارتبطنا بها مع سمو الأمير وهى : إطاعة الله - احترام الأديان - الحكم شورى على مقتضى القوانيين والنظامات التى تسن لذلك .المساواة فى الحقوق - توطيد الأمن - تعميم المعارف - إسناد الوظائف إلى الأكفاء [1] وعلى الرغم من ذلك فقد وجه القائد الفرنسى غورو انذارا إلى الملك فيصل كان أهم شروطه :-

أ- قبول الانتداب الفرنسى .

ب - الغاء التجنيد الاجبارى وتسريح الجنديين .

حـ - معاقبة اعداء فرنسا [1]

ولما أثار خبر هذا الانذار الكثير من التساؤلات والمخاوف في جميع المحافل الرسمية والشعبية السورية أرسل الجنرال غورو منشورا إلى أهالى سورية يذكرهم فيه ان فرنسا لم ترغب في استعمار سورية بل قبلت الانتداب الذى عهد به "إلى مؤتمر الصلح ، وانها ستحترم الحريات على اختلاف أنواعها ومع ذلك فقد رأت الحكومة السورية ضرورة الاستنجاد بضمير العالم المتمدن ، وطلبت احالة القضية إلى

---

[1] الاهرام عدد ١٣٠٧٧ في ١٧ مارس ١٩٢٠ .

[1] ابو خلدون ساطع الحصرى : يوم ميسلون ، صفحة من تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، مكتبة الكشاف ١٩٤٥ ص١٠٤ .

التحكيم وبعد أن انتهت المدة المحددة للانذار زحف القائد الفرنسى غورو على دمشق ، فواجهه السوريون في جهة "ميسلون "ودارت بين الفريقين معركة غير متكافئة استشهد فيها كثيرون من أحرار السوريين ومنهم " يوسف العظمة " وزير الحربية حيث وقف في الصف الأول من المحاربين يقاتل بمسدسه حتى قتل وانتهى الأمر بدخول الفرنسيين دمشق ، واسقاط الحكومة القائمة هناك ثم احتلال حلب وحمص وحماه والاستيلاء على سورية كلها بقوة السلاح ، واتبع الفرنسيون مع السوريين سياسة الارهاب من ناحية والخداع من ناحية أخرى ، فالغت فرنسا الحكم الوطنى وقامت بتجزئة سورية الى خمس دول هى : دولة دمشق ، ودولة لبنان ، ودولة حلب ( وتشمل الاسكندرونة ) ودولة العلويين ، ودولة جبل الدروز .

ومع ان فرنسا قد توهمت بأن ضربة " ميسلون " قد قضت على المقاومة العربية قضاء مبرما ، ولم يخطر ببالها أن هذه المقاومة ستزداد بعد ميسلون إلى أن تجبر فرنسا على الرحيل من سورية فقد قام الشعب السورى بثورته الكبرى في عام ١٩٢٥ تحت شعار وحدة سورية تحت السيادة العربية الخالصة

ولما وجدت فرنسا ان سياسة البطش والارهاب لم تؤد غرضها ، وأن سياستها الاستعمارية التى لا تؤمن بفكرة اشتراك الشعوب الصغيرة في حكم نفسها لم تحقق جدواها أصدرت دساتير لأقاليم سورية ، وأقامت الجمهورية السورية الأولى برئاسة " محمد على العابد " في عام ١٩٣٣ وأملت عليها معاهدة قيدت فيها سورية بقيود التبعية لها [١] ولكن الشعب السورى ثابر في نضاله إلى أن تفجرت ثورة دمشق في عام ١٩٣٥ مما دفع فرنسا إلى مفاوضة قادة هذه الحركة ، وأسفر ذلك عن معاهدة اعترفت فيها فرنسا باستقلال سورية وسيادتها ووحدتها مع بعض التحفظات [٢] .واجريت الانتخابات ، وانتخب المجلس النيابى الجديد في اوائل عام ١٩٣٦ هاشم الاتاسى رئيس الكتلة الوطنية رئيسا للجمهورية وتألفت حكومة من زعماء الكتلة ، غير أن الفرنسيين أخذوا يعرقلون نشاط هذه الحكومة . والجدير بالذكر أن فرنسا اتبعت طوال مدة اقامتها في بلاد الشام سياسة التفرقة والتقسيم لكى تسود سياستها فقسمت البلاد اقساما مصطنعة وعملت جهدها على تنمية الشعور المحلى وايدت الانقسامات الدينية والطائفية والمذهبية فقسمت البلاد إلى أربعة اقسام هى لبنان الكبير ودمشق وحلب وارض العلويين ثم ضمت حلب إلى دمشق وكونت منهما سوريا والى جانب ذلك فقد اكدت فرنسا لتركيا تعاطفها في ضم الاسكندرونة اليها ، وانها ستمنح لواء الاسكندرونه الحكم الذاتى

وقد قوبلت هذه التصرفات باستياء شديد من الرأى العام السورى والحكومة السورية ومع ذلك عقدت فرنسا اتفاقية مع تركيا في الخامس من يوليو ١٩٣٨ نصت على وجود قوات تركية وفرنسية في لواء الاسكندرونه وفى اعقاب ذلك أجرى الفرنسيون والاتراك الانتخابات للمجلس التمثيلى في اللواء ، واستطاعت العناصر التركية ان تسيطر على برلمان الاسكندرونه وانتهى الأمر بتنازل فرنسا عن لواء الاسكندرونه لتركيا .

وكانت فرصة السوريين قيام الحرب الثانية وانهيار قوة فرنسا أمام قوة الألمان وتبع انهيار فرنسا الحربى والسياسى تضعضع نفوذها في حوض البحر المتوسط وقامت حكومة فيشى وتبعت سوريا ولبنان هذه الحكومة في بادئ الأمر ففتحت أبواب سوريا ولبنان أمام دول المحور من الإيطاليين والألمان بل

---

[١] ابو خلدون ساطع الحصرى : المرجع السابق ص١٠٥ .

[٢] درورة : مرجع سابق ص٦٦٨ .

وللطائرات والدعاية الألمانية وتم التفريج بعض الشئ عن سوريا ولكن القوات الإنجليزية بقيادة الجنرال " هنرى ويلسون " وقوات فرنسا الحرة بقيادة " كاترو " قد تمكنت من طرد نفوذ المحور من سوريا ولبنان وأعلن كاترو ممثل فرنسا الحرة أن بلاده تنوى إنهاء الانتداب واستقلال سوريا ولبنان [1] وطالب السوريون بالاستقلال وحاولت فرنسا حمل رجال الحركة الوطنية على عقد معاهدة يكون لفرنسا بمقتضاها مركز ممتاز في هذه البلاد ولكنهم رفضوا أن يقيدوا بلادهم بقيود جديدة ، فأقام الفرنسيون جمهورية بقرار منهم برئاسة الشيخ " تاج الدين الحسينى " الذى أبدى استعداده للتعاون معهم فخولوا حكومته سلطات واسعة لمقاومة الوطنيين ومناوأتهم ومع ذلك فقد وقف رجال الحركة الوطنية يناوئون فرنسا ويطالبون إنجلترا بالتدخل ، وبوفاة الشيخ تاج أجريت انتخابات حرة فاز فيها الوطنيون وانتخب شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية ، وقد حاول الفرنسيون عقد معاهدة مع الحكومة السورية تضمن بها مركزاً عسكرياً واقتصاديا وثقافياً ممتازاً ولكنها رفضت مما ضايق فرنسا فأقدمت على قصف دمشق بالمدافع وإعمال يد الهدم والتدمير فيها ولكن بريطانيا أجبرت فرنسا على التوقف ثم تقدمت سورية بشكوى ضد فرنسا إلى مجلس الأمن مطالبة بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلادها استناداً إلى ميثاق هيئة الأمم المتحدة وانتهى الأمر بجلاء القوات الأجنبية عن سورية فى عام ١٩٤٦م بعد أن أعلن مجلس الأمن في ٤مارس ١٩٤٦ . أن الوفدين العسكريين البريطانى والفرنسى المجتمعين في باريس قد وافقا على خطة تقضى بسحب القوات البريطانية والفرنسية من سوريا في وقت واحد على أن يبدأ الجلاء في ١١ مارس وينتهى في ٣٠ أبريل [2] "

وفى عام ١٩٤٧ جدد المجلس النيابى في سوريا مدة رئاسة " شكرى القوتلى" ولكن " حسنى الزعيم" رئيس أركان حرب الجيش السورى قام بحركة انقلابية في عام ١٩٤٩م . أطاح فيها بشكرى القوتلى وفرض نفسه رئيساً للجمهورية وبعد ثلاثة أشهر من هذا الانقلاب قام " سامى الحناوى " أحد كبار الضباط بالجيش السورى بانقلاب ثان واعتقل حسنى الزعيم وأعدمه وقامت أثر ذلك حكومة جديدة برئاسة " هاشم الأتاسى " التى استجابت لحركة ترمى إلى الاتحاد بين سوريا والعراق فحركت الأصابع أديب الشيشكلى أحد ضباط الجيش السورى فقام بانقلاب ثالث فى آخر السنة واعتقل سامى الحناوى وأحبط الحركة وفى تلك الأثناء جرى انتخاب مجلس تأسيسى وضع دستوراً جديداً ثم انقلب إلى مجلس نيابى وانتخب هاشم الأتاسى لرئاسة الجمهورية في أوائل عام ١٩٥٠ وحاول أديب الشيشكلى أن يظل الموجه الأول للحكومة ، فاختلف مع أعضائها وأقدم على اعتقال اعضاء الوزارة وبعض أعضاء المجلس النيابى في عام ١٩٥١ . مما اضطر هاشم الأتاسى إلى ترك منصبه وحينئذ قامت حكومة عسكرية برئاسة " فوزى سلو " ثم خطا الشيشكلى خطوة أخرى في عام ١٩٥٣م . حيث وضع دستوراً جديداً وعرضه على الشعب للاستفتاء كما طلب من الشعب انتخاب رئيس للجمهورية ، ولم يترشح غيره حيث أرهب الناس بسيطرته العسكرية وإجراءاته البوليسية وهكذا فرض نفسه رئيساً للجمهورية ثم أجرى انتخابات نيابية فاز فيها أنصاره بالأغلبية [3]

وفى عام ١٩٥٤م . قام ضباط الجيش السورى الذين استاءوا من سيطرة الشيشكلى بحركة مناوئة له اشترك فيها السياسيون والمدنيون مما اضطر الشيشكلى إلى الاستقالة ومغادرة سوريا فعاد الحكم النيابى

---

[1] دروزة : السابق ص٦٦٩ .

[2] سيتون وليمز : المرجع السابق ص١٢٣

[3] دروزة ص٦٧١ -٦٧٢

فى نطاق الدستور وعاد هاشم الأتاسى لرئاسة الجمهورية ولما انتهت مدته أجريت انتخابات نيابية جديدة انتخب على أثرها شكرى القوتلى لرئاسة الجمهورية في عام ١٩٥٥ . ولما حاولت أمريكا وبريطانيا التأثير على سوريا لدخول حلف بغداد وقفت سوريا بقيادة شكرى القوتلى ضد هذا المخطط ووقفت مصر بجانبها ، وفى اعقاب ذلك جرى العديد من الاتصالات والمباحثات مع مصر وانتهت بتوقيع اتفاقية الوحدة فى أول فبراير ١٩٥٨ وأعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ، وسميت سورية بالاقليم الشمالى ، ومصر بالاقليم الجنوبى ، ولكن هذه الوحدة لم تستمر طويلا ، وقد استطاعت المؤامرات الاستعمارية الاطاحة بهذه الوحدة على أثر انقلاب عسكرى في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وأعلن عن أنفصال سورية عن مصر ، وقامت حكومة دستورية برئاسة الدكتور معروف الدواليبى ، كما انتخب الدكتور ناظم القدسى رئيسا للجمهورية ، وفى مارس ١٩٦٢ اطاح انقلاب عسكرى بالحكومة ، وتولى الجيش مقاليد السلطة ، واستمرت الحركات الانقلابية في سورية حتى قيام حزب البعث باستلام السلطة .

وفى يونيو ١٩٦٧ واجهت القيادة السورية الهزيمة في معركتها مع اسرائيل ، وضاعت الجولان .

وفى ١٣ يونيو ١٩٧٠ قامت حركة في سورية بقيادة الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع وقائد السلاح الجوى ، ونجح في الاستيلاء على السلطة ، واختير في ٢٢ فبراير ١٩٧١ رئيسا للجمهورية . ومن أبرز مظاهر السياسة السورية في عهده توثيق العلاقات مع بعض الدول العربية ، كما انضمت سورية الى ميثاق طرابلس الذى يضم اتحادا رباعيا من سورية ومصر وليبيا والسودان .

وقد شاركت سورية في حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م هذا الى جانب مواقفها من القضية اللبنانية ، وصمودها أمام الأطماع الصهيونية

## ٣- لبنان فى التاريخ الحديث والمعاصر :

بعد أن ارسل الأمير فيصل بن الحسين شكرى الايوبى لاعلان توطيد السيادة العربية على لبنان سارعت فرنسا بارسال قواتها ، واحتلت لبنان وبعض المناطق المتاخمة له تنفيذا لاتفاقات سايكس بيكو ، وبذلك بسطت فرنسا سيادتها على هذه المنطقة بدلا من السيادة العثمانية .

لقد كانت فرنسا ترنو ببصرها منذ فترة طويلة نحو نصارى بيروت ولبنان وخاصة الموارنة منهم وتوجه اهتماماتها نحوهم ، وتعقد معهم أواصر الصداقة وتنشئ لهم المدارس والمعاهد لتعلمهم فيها تاريخها ولغتها في محاولة منها لابعادهم عن العروبة والاسلام فنشأت مع الزمن روابط وعواطف متبادلة بينهما واعتبر الموارنة والكاثوليك اللبنانيون أن فرنسا هى الأم الحنون لهم ورغبوا أن يكونوا ضمن حمايتها الفعلية ، كما أن فرنسا رأت فيهم الأبناء الأبرار ونعتهم ساستها وكتابها بفرنسى الشرق ، وقد أكد هذه الروابط الحوادث الدموية الطائفية التى بلغت ذروتها عام ١٨٦٠ حيث تدخلت فرنسا وأرسلت حملة عسكرية إلى البلاد باسم حماية أرواح النصارى .

وقد حكمت فرنسا لبنان والسواحل حكماً عسكرياً في السنتين الأولتين من قدومها وعمدت إلى إثارة النعرات الطائفية الدينية في سكان لبنان والسواحل وأوجدت تياراً من التنافس والتناظر بينهما وبعد انهيار الحكم الفيصلى ووقوع سورية بين مخالب الاستعمار الفرنسى وسع الفرنسيون حدود لبنان فصار

يسمى لبنان الكبير ثم عينوا أحد زعماء الموارنة وهو " حبيب السعد " حاكما عاماً فاصبحت رئاسة أحد الموارنه للبنان تقليداً مستمراً كما أعطوا المناصب الحكومية لأنصارهم .

لقد كان " حبيب السعد " أول حاكم عام تحت السيطرة الفرنسية للبنان ، وممن قاموا على رأس الجمهوريات اللبنانية بين السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٣ " شارل دباس " "وأميل اده " " والفرد نقاش "

وفى عام ١٩٤٣ سمحت فرنسا بإجراء انتخابات نيابية حرة في سورية تنفيذاً للوعد الذى قطعته مع بريطانيا أثناء زحف قواتهم على سوريا ولبنان بالاعتراف باستقلال الأقليمين ، وقد فاز في هذه الانتخابات بعض النواب المسلمين والنصارى الذين كانوا ناقمين على فرنسا وفى مقدمة هؤلاء رياض الصلح والشيخ بشارة الخورى وقد انتخب المجلس النيابى الشيخ بشارة الخورى رئيساً للجمهورية واختار هذا رياضاً لرئاسة الوزارة فقام بذلك عهد جديد كان فاتحة خير للحركة العربية فى لبنان .

وقد كان من أهم أعمال هذه الحكومة الجديدة إزالة ما يتناقض مع استقلال لبنان وسيادته وتعديل الدستور وتوطيد بنيان الأمة والقضاء على فكرة الطائفية البغيضة كما قررت أن لبنان عربى يمت إلى العروبة بأوثق المظاهر والصفات وأوجبت استعمال اللغة العربية وحدها في مصالح الحكومة مما أذهل الفرنسيين فأذاع مندوبهم تحذيراً بعدم تعديل الدستور ولكن الوزارة لم تعبأ بذلك وقدمت التعديل إلى المجلس فأقره بما يشبه الإجماع فما كان من المندوب الفرنسى إلا أن أرسل قوات عسكرية ليلاً إلى منازل رئيس الوزراء وعدد من الوزراء والنواب واعتقلهم وأصدر أمراً بإقالتهم وبحل مجلس النواب وتعيين أميل أده رئيساً للدولة [1] ولم يكد يعرف أهالى لبنان بما حدث حتى انفجر الهياج فقامت المظاهرات وأعلن الإضراب في بيروت وسائر لبنان ووقعت الاشتباكات بين الأهالى والقوات الفرنسية واجتمع فريق من النواب مع الوزراء الذين لم يعتقلوا وقرروا تأليف حكومة طوارئ وطنية كما أعلن رجال الدين من المسلمين والنصارى تضامنهم لموقف الشعب وهكذا ظهر لبنان بوجهه العربى الصحيح مما كان لذلك أثره في البلاد العربية فأعلن الإضراب فيها احتجاجاً على فرنسا وتضامناً مع شعب لبنان كما استنكر الإنجليز موقف فرنسا فاحتجت الحكومة الإنجليزية عليه مما دفع فرنسا إلى إطلاق سراح المعتقلين وعودة رئيس الجمهورية والمجلس النيابى ، وهكذا خرج لبنان من محنته منتصراً تتهيأ له أسباب توطيد الاستقلال والسيادة حيث اعترفت به الدول كما غدا عضواً في الجامعة العربيه وعضواً في هيئة الأمم وانتهى الأمر باستقلاله عام ١٩٤٦م .

وفى عام ١٩٥١م . انتهت مدة رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخورى فجددها المجلس النيابى ولكن ذلك لم يرض المستعمرين فحركوا صنائعهم ضده حتى اضطروه إلى الانسحاب في سنة ١٩٥٢م فانتخب المجلس كميل شمعون مكان بشارة الخورى وقد سار على خطة معاكسة واندمج في ركب المستعمرين وقبل مبدأ ايزنهاور وأصبح لبنان وكراً للمؤامرات والدعاية المسمومة ضد مصر وسورية ولما اقتربت نهاية مدته أراد أن يجددها واستعمل في سبيل ذلك مختلف الوسائل الأغرائية والإرهابية ، فثارت العناصر القومية ضده ووقفت تناوئه وفى عام ١٩٥٨م حدثت ثورة دموية عمت انحاء لبنان وامتدت نحو أربعة أشهر بهدف الإطاحة بشمعون وانتهاء سياسة التحالف مع المعسكر الاستعمارى .

---

[1] دروزة : المرجع السابق ص٦٧٩ .

ولكن شمعون حاول قلب هذه الثورة إلى فتنة طائفية بين المسلمين والنصارى بدعوى أنه حامى النصارى والموارنة وكيان لبنان من المسلمين والعروبة ولكن بفضل تضامن عدد من زعماء النصارى مع المسلمين اخفق شمعون في محاولته .

ونتيجة لقيام الثورة في العراق عام ١٩٥٨م وخشية من انتقال عدواها إلى لبنان طلب كميل شمعون معونة امريكا العسكرية استنادا إلى نصوص مبدأ ايزنهاور الذى خول الكونجرس بمقتضاه لرئيس الجمهورية حق ارسال القوات المسلحة الامريكية للدفاع عن أى من الحكومات الصديقة في الشرق الاوسط التى تواجه تهديدا مسلحا من قبل أى دولة اخرى تدور في فلك الشيوعية العالمية [1] كما طالب مجلس الأمن بالتدخل ووصل الاسطول الامريكى الى لبنان ، وتدفق الجنود منه أفواجا . ومع أن الاحداث قد اثبتت استعداد الولايات المتحدة لأن تمد يد العون لاصدقائها ، فقد جاءت نتائجها معاكسة لكل التوقعات . فقد تسلم دفة القيادة في لبنان بعد انتهاء الاحداث " فؤاد شهاب " المؤيد لعبد الناصر ، وبدأ اللبنانيون يتطلعون الى مصر . مما أدى إلى جلاء الامريكيين ، وخروج لبنان من هذا المنعطف الخطر .

وسارت الاحوال في لبنان نحو الاستقرار الذى تشوبه بعض التقلبات أحيانا ، ثم تبدلت احواله بعد الهزيمة العربية في عام ١٩٦٧ وقيام الفدائيين الفلسطينيين بأعمالهم ضد اسرائيل من الأراضى اللبنانية ، وقيام اسرائيل بغاراتها على مطار بيروت في ٣١ ديسمبر ١٩٦٨ وباعمال انتقامية على مناطق الحدود ، مما أدى إلى تزايد الانقسام بين اللبنانيين ، واحتكاك الجيش اللبنانى بالفدائيين ، وعلى الرغم من أن التواجد الفلسطينى على أرض لبنان كان طبيعيا وشرعيا خصوصا وأن مجلس النواب اللبنانى كان قد وافق عليه بأغلبية ساحقة ، فقد حدثت العديد من الخلافات حول الوضع القانونى للفلسطينيين ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق القاهرة بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية فى ابريل من عام ١٩٦٩ والذى تحدد فيه الوضع القانونى للمنظمات الفلسطينية في لبنان ، وحقوق وواجبات السلطة اللبنانية تجاهها وفيما يلى أهم ما تضمنته تلك الاتفاقية .

١- تسهيل العمل الفدائى الفلسطينى وتنظيم الدخول والخروج والتجول للفدائيين ، وايجاد انضباط وتنسيق ، وتعاون مشترك بين الثورة الفلسطينية والجيش اللبنانى ، وقيام قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات أفرادها وعدم تدخلهم في شئون لبنان ، كما تمارس السلطات اللبنانية مدنية وعسكرية صلاحيتها في جميع المناطق اللبنانية في كل الظروف .

٢- بالنسبة للوجود الفلسطينى : حق العمل والاقامة والتنقل للفلسطينيين في لبنان ، ووجود نقاط للكفاح الفلسطينى المسلح داخل المخيمات تكون مهمتها تنظيم وجود الأسلحة وتحديدها ، والسماح للفلسطينيين الموجودين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية .

تلك هى اتفاقية القاهرة التى تعتبر نقطة انعطاف هامة في تاريخ العلاقات اللبنانية الفلسطينية ، ومع ذلك فان الموارنة لم يكن في تفكيرهم ومخاوفهم وأحاديثهم غير الفلسطينيين ووجودهم المسلح في لبنان ، والخطر اليسارى المنتشر في القواعد الفلسطينية ، وهم مصممون على عدم السماح للوجود الفلسطينى المسلح في مناطقهم .

---

[1] مايلز كوبلاند : لعبة الأمم - ترجمة فؤاد خير - بيروت ١٩٧٠ ص٢٤٤ .

واستمرت الأمور في التفاقم حتى قامت الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥ ، وبدأت القوى اليسارية بقيادة كمال جنبلاط فى تركيز مدافعها الثقيلة على القرى المسيحية في الجبل ، ونتيجة لذلك دخلت القوات السورية الأراضى اللبنانية في يونيو ١٩٧٦ بحجة أن الاتجاه اليسارى المتطرف سوف يؤدى الى تقسيم لبنان وتوريط المقاومة العسكرية فى المخطط التقسيمى الذى كان اليمينيون المسيحيون هم المتهمون بتنفيذه . ثم ازدادت الأمور استعارا نتيجة لاجتياح اسرائيل للأراضى اللبنانية في الخامس من يونيو ١٩٨٢ تحت شعار السلام الجليل [1] ، واعلانها أن جيش الدفاع الاسرائيلى سيبقى في لبنان الى أن تنسحب القوات السورية منه ، وتتخذ التدابير التى تضمن الأمن لسكان الجليل والتى تشمل اخراج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان

وخلال ذلك حاولت اسرائيل القضاء على قوات منظمة التحرير الفلسطنية وفرض الأمر الواقع على لبنان وعقد معاهدة سلام معه ، ولكن اغتيال بشير الجميل قد أحبط مخططاتها .كما ان تعاظم المقاومة اللبنانية والضغط الدولى قد اجبرها على الانسحاب من لبنان ما عدا اجزاء من الجنوب وفى هذه الأوقات العصيبة لم تتخل الأمة العربية عن لبنان يوما واحدا فقد حاولت كلها مجتمعة أو منفردة أن تسهم في حل الأزمة وفى هذا الاطار أعلن مجلس التعاون الخليجى أن جهوده منصبة باتجاه هدف أساسى هو انسحاب اسرائيل من لبنان .

يضاف الى ذلك طرحت قضية أن لبنان يحتاج قبل كل شئ الى حوار بين اللبنانيين تذوب فيه جبال الجليد العالية ، ويتلاشى فيه هدير المدافع . وتختفى معه خطوط التماس ، وأنه ينبغى أن يدفع هذا الحوار حول مائدة مفاوضات لا تظللها سوى راية لبنان الموحدة .

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر الفرقاء حول قضية الرئاسة والمشروعية فان الرغبة لدى كل منهم في الحل كانت تتجلى من خلال اتفاقهم على أهمية الموقف العربى كسبيل لحل الأزمة اللبنانية ، كما يتفقون على أهمية عقد مؤتمر قمة عربى تطرح فيه القضية اللبنانية .

وقبيل انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل في الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٨٨ أعلن عن تعيين العماد ميشيل عون رئيسا للحكومة العسكرية فى لبنان ، كما لم يتمكن مجلس النواب اللبنانى من الاجتماع لاختيار رئيس جديد للجمهورية يمكنه تحمل المسئولية ، اضافة الى ذلك بدأت تواجه لبنان مشكلة جديدة وهى كون رئاسة مجلس النواب تنتهى فى ١٥ اكتوبر من نفس العام ، وأنه فى ظل الانقسام الحالى في الأوساط النيابية يصعب الاتفاق على اعادة انتخاب الرئيس الحسينى ، أو اكتمال نصاب الجلسة النيابية لانتخاب رئيس جديد للمجلس ، وهذا بدوره ينطوى على احدث فراغ في رئاسة البرلمان .

وهكذا فلأول مرة منذ استقلال لبنان في عام ١٩٤٣م تعيش لبنان بلا رئيس للجمهورية ، وللمرة الأولى يعيش في ظل حكومتين تتنازعان السلطة والشرعية ، ولأول مرة يجتاح الشلل مجلس النواب فيعجز عن الاجتماع لانتخاب رئيسه .

ونتيجة لذلك تساقطت صمامات الأمان ، وظهرت محاذير الدخول في مرحلة السقوط ، ولعبة التقسيم خصوصا بعد أن انكسرت الوحدة ، وأصبح الجيش اللبنانى يعيش في ظل قيادتين تتنازعان السلطة

---

[1] هى المنطقة الشمالية العليا من فلسطين المحتلة ، والتى كانت مستهدفة من الفدائيين الفلسطينيين في الجنوب اللبنانى ..

والشرعية ، وأصبحت الليرة اللبنانية رمزا للانكفاء نحو العوز والفقر بعد أن كانت رمزا للبحبوحة والرخاء كما أصبح لبنان يسير نحو المجهول .ثم قيض الله الطريق نحو الخلاص من خلال مؤتمر القمة العربي الذى انعقد في الدار البيضاء في مارس ١٩٨٩م والذى انبثقت عنه " اللجنة العربية العليا " المؤلفة من الملك فهد بن عبد العزيز ، والملك الحسن الثانى ، والرئيس الشاذلى بن جديد فبذلت اللجنة جهودا مضنية على مختلف الأصعدة العربية والاقليمية والدولية ، وطرحت أبعاد القضية في افق عربى شامل ساعية وراء جميع القنوات التى لها علاقة بالحرب ، رافضة مبدأ الفشل حتى تسنى لها أن تضع عبر وزراء خارجيتها الثلاثة الأمير سعود الفيصل ( السعودية ) والسيد أحمد الغزالى ( الجزائر ) والسيد عبد العزيز الفلالى (المغرب) الذين كرسوا جهودهم للقضية اللبنانية حتى تسنى لهم بالتشاور مع الجهات المعنية وضع وثيقة الوفاق الوطنى [1]

وقد واصل النواب اللبنانيون الاثنان والستون " اجتماعاتهم في الطائف في محاولة للتوفيق بين وجهات نظرهم من أجل صياغة وثيقة مشتركة حول موضوع الاصلاحات الجديدة وايجاد صياغة جديدة للنظام السياسى المعمول به في لبنان منذ عام ١٩٤٣م بهدف اعادة التوازن بين السلطات وتحديد العلاقات المستقبلية بين لبنان وسوريا ، وتنشيط المؤسسات الدستورية اللبنانية من جهة ، ووضع حد لمعاناة طويلة ومريرة ترهق الشعب اللبنانى وتهدد مستقبله وانتهى الأمر بتوقيع اتفاق الطائف

وقد نص الاتفاق على اصلاحات دستورية ، وسياسية وتنظيمية تناولت شئون رئاسة الجمهورية ، وشئون رئاسة مجلس الوزراء ، والمجلس النيابى ، كما تناولت حل جميع الميلشيات وتسليم اسلحتها للدولة بحيث يجرى التصديق دستوريا على هذه الوثيقة في مجلس النواب اللبنانى في مدة اقصاها الثلاثاء ١٠/٧/ ١٩٨٩ حيث يجرى على اثر ذلك انتخاب رئيس الجمهورية ويعقب ذلك العمل على تأليف حكومة واحدة للبنان وهى حكومة الاتحاد الوطنى التى ستعمل على اعادة بناء جميع المؤسسات الدستورية والحكومية المعطلة منذ اكثر من أربعة عشر شهرا .

وقد ساد العواصم العربية والعالمية موجة من الارتياح بعد انتخاب " رينيه معوض " رئيسا للجمهورية اللبنانية وبداية عهد جديد للبنان وعدت ذلك خطوة ايجابية نحو اعادة بناء لبنان موحدا وبداية للطريق الذى سيقود لبنان الى وضعه الطبيعى ليساهم في ممارسة سيادته على جميع أراضيه بعد أن سئم اللبنانيون أنباء العنف والقتال ولم يعترض على ذلك سوى " حكومة العسكريين " برئاسة العماد ميشيل عون التى رفضت اتفاق الطائف كما رفضت أى اتصال مباشر مع الرئيس المنتخب ، وعلى الرغم من ذلك فقد بدأ الرئيس معوض اتصالاته لتشكيل حكومة الوفاق معلنا " أن المصالحة تتسع للجميع ولا تستثنى أحدا ومطالبا " بمواكبة مسيرة الشرعية المصممة على انهاء الدويلات وبسط سيادة القانون " كما كلف الرئيس معوض الدكتور " سليم الحص " بتشكيل الحكومة الجديدة .

وفى يوم الأربعاء الموافق ٢٤ / ٤ / ١٤١٠هـ نقلت أجهزة البرق نبأ اغتيال الرئيس رينيه معوض وبعد ثمان وأربعين ساعة من اغتيال الرئيس رينيه معوض انتخب البرلمانيون في جلسة عاجلة عقدوها في فندق " شتورا بارك " في سهل البقاع النائب الياس الهراوى رئيسا للجمهورية بعد أن حصل على سبع وأربعين صوتا .

---

[1] اخبار العالم الاسلامى : العدد ١٤٤ في ١٠ ربيع الثانى ١٤١٠هـ / ١٣ نوفمبر ١٩٨٩م .

وقد دعا الهراوى الى انتهاج سياسة الانفتاح بين لبنان وسورية ونادى بمد يد الصداقة والصدق الى الجميع من أجل التعاون لانقاذ لبنان ، وكلف الدكتور سليم الحص بتشكيل حكومة وحدة وطنية وأكد أنه لا يسمح بوجود حكومتين في لبنان ، وطالب العماد عون باخلاء قصر الرئاسة في بعبدا .

وعلى الرغم من الاجماع العالمى على مساندة الشرعية اللبنانية المتمثلة في الرئيس المنتخب الياس الهراوى فقد أعترض العماد عون على ذلك الانتخاب ووصفه بأنه باطل ، وقام بتصعيد الموقف فقرر عدم اخلاء قصر بعبدا ، كما قام بتوسيع رقعة القوات الموالية له في بعض احياء بيروت الشرقية وذلك بنشر قوات جديدة في بعض هذه الأحياء ، في حين هدد الرئيس الهراوى باتخاذ خطوات عسكرية لدخول قصر بعبدا اذا فشلت السياسية في اخراج عون سلميا .

وانتهى الأمر بتمكن لبنان من اعادة هيبته والقضاء على تمرد ميشيل عون وبسط سلطة الدولة على كامل الآراضى اللبنانية بعد قيام التحالف الدولى ضد صدام حسين وانضمام سورية الى هذا التحالف .

وفى أعقاب ذلك نجحت القيادة اللبنانية في توجيه ضربة قاصمة للعماد عون عندما تحركت قواتها المدعومة بوحدات من الجيش السورى تجاه قصر الرئاسة في بعبدا في ١٣ من أكتوبر ١٩٩٠ ، وانتهى الأمر بالتجاء عون الى السفارة الفرنسية واستسلام قواته وظهور المحاولات الجادة لازالة آثار الحرب التى امتدت ١٥ عاما من على وجه لبنان وبداية مرحلة جديدة لاعادة السلام ووحدة لبنان وعودة بيروت كعاصمة موحدة للبنان .

وقد كلل هذه المجهودات عقد المعاهدة السورية اللبنانية التى تنص على التنسيق بين سورية ولبنان في مجال شئون السياسة الخارجية والأمن الداخلى .

## ٤ – امارة شرق الاردن ( المملكة الاردنية الهاشمية )

كانت منطقة شرق الاردن في العصر العثمانى جزءا لا يتجزأ من بادية الشام ، وكانت تحكم عن طريق والى دمشق العثمانى كصنجقية من الدرجة الثانية اطلق عليها صنجقية الكرك ، وكانت اجزاؤها الشرقية تمثل صحراء منبسطة تصل بين العراق وسوريا والحجاز .

ونظرا لأن الحكم العثمانى للبلاد العربية عموما لم يهتم بإصلاح شئون البلاد وتأمين الأمن والاستقرار فيها فقد ظل هذا الإقليم بحكم توغله في الصحراء بعيدا عن الحضارة ومتأخرا في شؤونه الاقتصادية والعمرانية والمالية ، وكان سكانه يخضعون لنظام قبلى يتولاه شيوخ القبائل ورؤساء العشائر ممن يتوارثون السيطرة جيلا بعد جيل ضمن مناطق نفوذهم ، وكانت القواعد العرفية تنظم العلاقات بين البدو ، وكان لهم قضاة يعرفون بقضاة العشائر واستمر سكان هذا الإقليم يعتمدون على الزراعة في أمور معيشتهم ، ويعيشون حياة الكفاف وبحكم موقع هذه المنطقة الجغرافى كانت ممرا للقوافل بين سوريا والحجاز والعراق وفلسطين وغيرها من البلاد العربية ، وأهم ما شاهده هذا الإقليم من الأحداث في العصر العثمانى إنشاء خط سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة مارا بعدد من القرى الأردنية . وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ ودخول الدولة العثمانية الحرب بجانب المانيا وحلفائها وما اعقب ذلك من قيام الثورة العربية الكبرى التى تزعمها الشريف حسين بن على ضد العثمانيين ، صارت

بموجبها حكومة شرقى الأردن مقيدة بالمراقبة البريطانية [1] ومكبلة بالقواعد والمنشآت العسكرية.

ونتيجة لاستياء العناصر المستنيرة في الأردن من هذه المعاهدة تكونت أحزاب معارضة ، عقدت في عمان مؤتمرا في يوليو عام ١٩٢٨ ووضعت ميثاقا ، وقررت عدم الاعتراف بالمعاهدة وأعلنت عن ضرورة إجراء انتخابات على أساس برلمانى وعن ضرورة جعل الأردن دولة مستقلة دستورية [2] وإلغاء الانتداب البريطانى واستمر الحال على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الثانية وقد وقفت الأردن فى هذه الحرب إلى جانب الحلفاء .

وفى مارس من عام ١٩٤٦ عدلت معاهدة ١٩٢٨ بمعاهدة تحالف مع بريطانيا ، فاعلن عن انتهاء الانتداب البريطانى على شرق الأردن والاعتراف باستقلال الاردن التام وتمتعه بشخصيته الدولية وبالأمير عبدالله عاهلا له على أن يلتزم بالتشاور مع انجلترا في الشئون الخارجية وان تلتزم بريطانيا بالدفاع عن الاردن ، ودفع مساعدات ماليه له . وهكذا انتقل شرق الاردن نظريا من صفة بلاد تحت الانتداب إلى صفة دولة مستقلة . وفى ٢٥ إبريل ١٩٤٦ اتخذ الأمير عبد الله لقب الملك . وقد قوبلت هذه المعاهدة بالسخط الشديد من الأردنيين مما أحرج مركز الملك عبد الله وجعله يطالب بريطانيا تخفيف بعض بنود المعاهدة ونتيجة لذلك عقد في عمان في ١٥ مارس ١٩٤٨ معاهدة تحالف أخرى بين الدولتين تضمنت استمرار التعاون وإقامة العلاقات الطيبة بينهما وأن تلتزم بريطانيا بالدفاع عن الأردن ، وأن تنشأ هيئة استشارية بين البلدين لتنسيق شئون الدفاع وللمقارنة بين هذه المعاهدة ومعاهدة ١٩٤٦ نجد أنهما لايختلفان كثيرا من حيث جوهر السيطرة البريطانية على الاردن ، ونتيجة لتطورات الاحداث في فلسطين وقرار الحكومة البريطانية في فبراير ١٩٤٧ برفع القضية برمتها إلى هيئة الامم المتحدة والتطورات الجارية هناك والتى انتهت بإقرار مشروع التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ ، كانت كل من الأردن ومصر تخشى أن تسبق أحداهما الأخرى إلى ملأ الفراغ في القسم المخصص للعرب من أرض فلسطين [3] فالأردن يرى أنه اوثق الاقطار العربية ارتباطا بفلسطين فهى شرق النهر وفلسطين غربية ، ومصر كانت تعارض اطماع الملك عبد الله ويتنافس ملكها مع الهاشميين في اطماعهم ، وقبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين تم اسناد منصب القيادة العامة إلى الملك عبد الله على أن يتولى إدارة العمليات بالنيابه عنه أمير اللواء الركن نور الدين محمود [4] ، وقد دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ بهدف انقاذها من الضياع وبعد ان برز شبح الهزيمة باديا للعيان في حرب ١٩٤٨ وتجسدت النكبة بقيام اسرائيل وتشتيت الشعب الفلسطينى فان التمزق العربى والصراعات الخفية والظاهرة بين الزعامات العربية في تلك الفترة ، وزيادة عوامل الشك وعدم الثقة بينها كل تلك الأمور كانت ظلالا لهذه النكبة . ونتيجة لذلك اختلفت وجهتا نظر مصر والأردن في احتواء الموقف أو الاتفاق على طريق لتطويق المأساة ، وانقاذ ماتبقى من ارض فلسطين فقد رأت الحكومة المصرية تكوين حكومة فلسطينية تمثل الشعب الفلسطينى وتنطق باسمه وتشمل قطاع

---

[1] على الدحانى : محاضرات في اقتصاديات الاردن ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٤ ص د .

[2] Survey of International Affairs. 1928 pp. 326 - 377.

[3] للتفاصيل انظر - George Kirk : The Middle East 1945 - 1950 p. 144-145.

[4] أن تسليم القيادة العامة للملك عبد الله لم يكن في مصلحة العرب لأنه كان واضحا لمشيئة رئيس أركان جيشه جلوب باشا الانجليزى كما أن الجيش الاردنى في ذلك الوقت كان يدار بواسطة قادة من الانجليز .

حسن ريان : دور امارة شرقى الاردن في السياسة العربية ١٩٣٩- ١٩٥١ رسالة دكتوراة غير منشورة ص ١٤٢.

غزة والضفة الغربية التى يقصد بها محافظة القدس ولواء السامرة والخليل على ان يكون مقرها غزة وتسمى حكومة عموم فلسطين .

وقد بادرت الجامعة العربية بما لديها ممثلو الأردن إلى الاعتراف بهذه الحكومة لتمثيل عرب فلسطين في محررة منها لايجاد تشكيل سياسى يقف امام اسرائيل ، ولتكون رمزا لكفاح بقايا هذا الشعب ، ولانقاذ ماتبقى من فلسطين من أطماع اليهود . واعلنت أمانة الجامعة أسماء الوزراء الفلسطينيين الذين سيتولون مصالح ماسمته بالادارة المدنية [1] .

ولما وصلت انباء إنشاء هذه الحكومة إلى الملك عبد الله استشاطا غضباً ، واستنكر ماحدث من مندوبيه الذين أوضحوا له أن هذه الحكومة ولدت ميتةً ، لذلك كان لاباس من الظهور بمظهر الاجماع [2] ، ولكن الملك عبد الله لم يقتنع بذلك بل رأى في اعلان هذه الحكومة تحدياً ظاهراً له خصوصاً وأنها نشأت في قطاع غزة الواقع تحت تاثير الحكم المصرى ، ونتيجة لذلك فقد رفض الاعتراف بامتداد سلطة هذه الحكومة من غزة إلى المناطق العربية الاخرى في فلسطين فعين حاكما من قبله على الضفة الغربية ، كما رفض الاعتراف بهذه الحكومة او التعامل معها بحجة أنها لن تكون اكثر من اعلان رمزى ليس له القدرة على صيانة الاجزاء العربية من فلسطين [3] ومن هذا المنطلق ارسل الملك عبد الله إلى محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء المصرى خطابا أوضح فيه رفض بلاده لحكومة عموم فلسطين فذكر " اننا نخشى على سلامة بلادنا ومركزها من أى دولة ضعيفة قد تكون في فلسطين تنتسب إلى العرب فتضعف عن البقاء أو يستحوذ عليها اليهود أو بمجرد تكيفها تعترف بها منظمة الأمم التى اعترفت باليهود فيكون التقسيم أمراً واقعاً " [4] .

وقد حاولت اللجنة السياسية في الجامعة العربية تهدئة الملك واقناعه بالاعتراف بحكومة عموم فلسطين ، ولكنه أصرَّ على موقفه ، وأخذ جوُّ التوتر والمشاورات يتسع مداه داخل أروقة الجامعة [5] ولم يكتف عبد الله بذلك بل شجع على عقد مؤتمر فلسطيني في عمان في أكتوبر ١٩٤٨ برئاسة الشيخ سليمان التاجى هاجم فيه المجتمعون حكومة غزة ، وطالبوا الملك عبد الله أن يشمل عرب فلسطين بحمايته ، واعلنوا عن رغبتهم في ضم ماتبقى من فلسطين إلى شرق الاردن ، كما فوضوه أن يتحدث باسمهم ، وأن

---

(١) شكلت حكومة غزة من أحمد حلمى عبد الباقى رئيسا ، وجمال الحسينى ورجائى الحسينى ، وعونى عبد الهادى ، وأكرم زعيتر والدكتور حسين الخالدى ، وعلى حسنه ، وميشيل بكاريوس ، ويوسف صهيون وأمين عقل أعضاء.

انظر محمد عزة دروزة حول الحركة العربية الحديثة جـ٥ صيدا المطبعة العصرية ص ٩١ .

(٢) محمد نصر مهنا : مشكلة فلسطين أمام الرأى العام العالمى ١٩٤٥- ١٩٦٧ . ورسالة دكتوراة غير منشورة ص ٢١٨ . والجدير بالذكر أنه بينما كانت اسرائيل تثبت اقدامها في قلب فلسطين كان العرب يتنافسون فيما بينهم على التوسع الاقليمى وملء الفراغ في القسم المتبقى من ارض فلسطين .

لمتفاصيل : انظر George Kirk : The Middle East 1945 - 1950 p. 144-145.

(٣) منير الماضى وسليمان موسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين عمان – الطبعة الأولى ١٩٥٩ ص ٥٣٤ .

(٤) نفسه .

(٥) محمد عزة دردزة : حول الحركة العربية الحديثة جـ٥ . ص ٨٩ .

يتفاوض عنهم [1] ونتيجة لذلك فقد استمر الملك عبد الله في تحديه لحكومة غزة ، فطالب بحلها ، واعتبر ذلك مسألة رئيسية في سياسته حتى ولو أدت إلى خلافات مع الحكومات العربية [2] .

كما شجع الملك عبد الله على عقد اجتماع بمدينة أريحا في أول ديسمبر ١٩٤٨ برئاسة الشيخ محمد على الجعبرى رئيس بلدية الخليل حضره العديد من زعماء فلسطين ووجهائها وفيه أعلن عن وحدة الأراضى الفلسطينية والاردنية ، واعتبارها وحدة لاتتجزأ ، كما قرر المؤتمرون مبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين كلها ، ولما رفعت قرارات هذا المؤتمر إلى الملك تقبلها راضيا [3] كما اصدر مجلس الوزراء الأردنى بلاغا اعرب فيه عن تقديره لرغبة الفلسطينين الممثلين في مؤتمر أريحا يضاف إلى ذلك أن البرلمان الاردنى وقف مؤيدا لقرارات هذا المؤتمر [4] .

ونتيجة لذلك تعرض الاردن لانتقادات عنيفة [5] ولحملات دعائية ضده خصوصا من مصر فقد هوجم الاردن وهوجم الملك عبد الله واتهم بالتفريط في فلسطين وعروبتها وازداد العداء بين حكومتى مصر والاردن ، فقد اعتبرت مصر أن ضم شرق الأردن للضفة الغربية خطة توسعية مخالفة للاتفاقات التى تمت بين الزعماء العرب قبل دخول الحرب ، كما أرسل الملك فاروق رسائل شفوية إلى ملوك الدول العربية ورؤسائها بشأن ماحدث في اريحا أوضح فيها أن قرارات هذا المؤتمر لاتعتبر تعبيرا صادقا عن رغبة الفلسطينيين خصوصا " وان الذين حضروه قلة إذا قيسوا بمجموع عرب فلسطين " [6] كما وصف هذه القرارات بأنها ليست صحيحة لأن أهل فلسطين اصحاب القرار ليسوا في الوضع أو الظروف التى تسمح لهم بابداء رأى صادر عن حرية اختيار " [7] كما استنكر مبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين موضحا أن مصر لم تضحّ بدماء ابنائها ليلقى بمستقبل فلسطين في أيدى المجتمعين في أريحا ، وقد تبع ذلك سيلٌ من البيانات والبرقيات شديدة اللهجة من هيئات مصر وشخصياتها وصحافتها ضد مؤتمر أريحا ، وتتسجيع الاردن لعقده فوصف محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر ماحدث في أريحا وتصديق مجلس الأمة الأردنى عليه بأنه مخالف للمنطق ، وأن الحكومة المصرية ستظل عند قراراها الخاص بالاعتراف بحكومة عموم فلسطين وأن المصريين سيبقون دائماً إلى جانب هذه الحكومة ، وأن للشعب الفلسطينى أن يقرر مصيره بنفسه [8] .

وأصدر مجلس العلماء في الجامع الأزهر بيانا وجهه إلى ملوك المسلمين وشعوبهم ندّد فيه بما أقدم عليه الملك عبد الله وحذّر من عواقب تفتيت الوحدة العربية ، والتمهيد للقضاء على عرب

---

[1] ادلى الملك عبد الله بتصريح في عمان للمجتمعين انه لايطمع في فلسطين ، ولايريد ضم أى أجزاء منها إلى بلاده ولكنه يرحب كل الترحيب برغبة المجتمعين في الانضمام إلى بلاده . المصرى : في ٦/٧/ ١٩٥٠.

[2] حسن رياض - دور امارة شرق الأردن في السياسة العربية جـ٢ ص ٣٧٦

[3] محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٩٢ .

[4] الاهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨.

[5] أرسل الملك عبد العزيز والرئيس شكرى القوتلى إلى ملك شرق الاردن يطلبان عدم تمهيد قرارات أريحا .

[6] الاهرام في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ .

[7] الأهرام في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان " مصر وقرارات اريحا " .

[8] الأهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان حديث محمود فهمى النقراشى عن مؤتمر أريحا .

فلسطين [١] .

أما عن موقف الصحف المصرية فقد نددت الأهرام بما حدث في أريحا فذكرت " أنه ليس من الملائم أن تنفرد ايةُ دولةٍ عربية بعمل سياسى يتعلق بمصير فلسطين .. وطبيعى أن كلُّ حل لهذه القضية يجبُ أن يكون وليد إرادة أهل فلسطين على أن تكون هذه الإرادة صادرة عن حريةٍ وفى ظروف عادية ، وفى مناسبات لاتثيرُ أى شك من أية دولة من الدول العربية وأن مصر ستقف إلى جانب مبدأ فلسطين لأهلها [٢] .

وهاجمت جريدة المصرى ماأقدمت عليه حكومة شرق الأردن ، واتهمتها بالخروج على الاجماع العربى وطالبتها بالتريث في الاقدام على هذه الخطوة ، والتعاون مع الحكومات العربية في استخلاص الأجزاء التى تجاوزت حدود التقسيم الذى فرضته هيئة الأمم وأنكره العرب [٣] .

هذا عن موقف مصر أما عن موقف الجامعة العربية وموقف حكومة عموم فلسطين فقد عقد عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة مؤتمراً صحفياً أعلن فيه ضرورة احترام قرارات الجامعة بشأن فلسطين ، وشكك في قانونية قرارات أريحا ونددَّ بها موضحا ضرورة استفتاء أهل فلسطين في تقرير مصيرهم [٤] ونددَّت حكومة عموم فلسطين بمؤتمر أريحا وبالذين شاركوا فيه واعلنت انه ليس لهم الحق في التحدث بلسان عرب فلسطين [٥] ، كما نددت بقرار مجلس الأمة الاردنى بوحدة الضفتين واعتبرته مخالفا لقرارات الجامعة العربية [٦] .

وإلى جانب ذلك فقد دعا اللاجئون الفلسطينيون في القاهرة إلى اجتماع استنكروا فيه قرارات أريحا وطالبوا بحق سكان فلسطين في تقرير مصيرهم ، كما انهالت برقيات اللاجئين الفلسطينين على الأمانة العامة للجامعة العربية يسجلون فيها احتجاجهم على قرارات مؤتمر أريحا ، وموقف حكومة عمان المنافى لحقوقهم [٧] .

هذا عن الموقف المصرى تجاه قرارات اريحا أما عن موقف الأردن من موقف مصر مصر تجاه عملية توحيد الضفتين ، فقد كانت الاردن تعتبر أن الضمَّ مصدرُ قوة للفلسطنين وحقوقهم وانه خير وسيلة لحفظ ذلك الجزء من فلسطين من أن يسقط في يد اليهود حيث لاقوة تحميه إذا أقدمت الأردن على سحب قواتها منه ، ونددت الأردن بالدعاية التى شنتها مصر ضدها ووصفتها بأنها مؤذية ومغرضة ومفرقةٌ لكل العرب وتساءلت عما سيكون موقف مصر واصرارها فيما لو جرى استفتاءٌ عامٌ بين الفلسطنيين اينما

---

[1] The times , 12 December 1948.

[٢] الأهرام في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨..

[٣] المصرى في ١١ يونيو ١٩٥٠ مقال للأستاذ محمد على علوبة تحت عنوان " سياسة الملك عبد الله نحو فلسطين " .

[٤] الأهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان " الجامعة صاحبة الرأى الأعلى " .

[٥] The Times , 11 December 1948.

[٦] الأهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨.

[٧] حسن زيدان : المرجع السابق جـ٢ ص ٣٨٣ ، ٣٨٦.

كانوا ، وكانت نتيجة هذا الاستفتاء على غير ماتشتهى مصر أو تتوقعه [1] كما نددت بحكومة غزة ووصفتها بأنها اقيمت بقرار عشوائى من مجلس الجامعة وبتأييد من مصر ، وأوضحت ان عملية الضم أملاها الواقع الاقليمى ، ورغبةُ أهالى فلسطين الصادرة عن مطالب حياتهم وأمنهم ، وأن الاردن يشعر بعمق الروابط بين الضفتين كما حمل الملك عبد الله على الجامعة العربية ووصفها بالخور والغباء وعدم الواقعية كما وصفها بأنها اسمٌ كبيرٌ ودعاية عريضةٌ طويلةٌ ومع ذلك فليس لها أى اتصال بالرغبات القومية ، واوضح ان ارتباط دول الجامعة بالدول الكبرى جعلها لاتتمكن من التصرف خارج الالتزامات المرتبطة بها [2] .

ونتيجة لاصرار الملك عبد الله على عدم الامتثال لقرارات الجامعة تزعمت مصر حركة معادية لسياسته بلغت ذروتها في السادس من مايو ١٩٥٠ عندما تقدمت مصر باقتراح إلى مجلس الجامعة يقضى بفصل الأردن من الجامعة على اعتبار أن ضمها للضفة الغربية يعتبر عملاً توسعيا [3] كما رأت تمثيل حكومة فلسطين الصورية برئاسة المفتى خصم الملك عبد الله في الجامعة العربية [4] .

ونتيجة لذلك قررت الاردن الامتناع عن ارسال وفد يمثلها في دورة مجلس الجامعة ، وأصدرت بيانا رسميا في ٢٨ مارس ١٩٥٠ أوضحت فيه موقفها من الجامعة ، واستنكرت موقف الصحافة المصرية المناهضة لها فذكرت ان اتخاذ أية قرارات تتعلق بالقسم الغربى في فلسطين ستعتبرها الحكومة الأردنية ضارة بمصالحها ، واوضحت أن سكان هذا القسم اعربوا اكثر من مرة عن رغبتهم الجماعية في ربط مصيرهم بمصير الاردن ، ومن هنا فان الشروع في مناقشة أمور تمت تسويتها سيترتب عليه ازدياد سوء التفاهم ، وايجاد موقف غير مرغوب فيه [5] ، لاسيما بعد أن تقررت دعوة رئيس وزارة حكومة عموم فلسطين إلى حضور اجتماعات مجلس الجامعة وقد اختلف موقف دول الجامعة في مساندة رغبة مصر في إخراج الأردن من الجامعة فقد ساندتها في ذلك كل من سوريا ولبنان والسعودية في حين احجمت كل من العراق واليمن عن تأييد الموقف المصرى ، فقد ايدت العراق وجهة نظر الأردن ولامت مصر على موقفها من الملك عبد الله ، وطالبتها بالاهتمام بشئونها الخاصة ، وبتحرير نفسها من القوات البريطانية بدلا من تدخلها فيما لايعنيها ، واعتبرت أن قرار الحكومة الأردنية بضم شرق فسطين إليها هو الحل العملى لانقاذ ماتبقى من فلسطين حتى تتمّ تسوية المشكلة بصفة نهائية [6] ورأت أن شرق الأردن لم يخطئ بضمه للجزء الشرقى من فلسطين لأنه من غير المعقول أن يترك هذا الجزء دون سلطة تنفيذية حقيقية كاملة ، ورأى أنه إذا كانت هناك أى طعون في صحة إرادة أهل هذا الجزء حول رغبتهم في الانضمام إلى شرق الأردن من عدمه فلْتُشكّلْ لجنةٌ للتحقيق [7] .

---

[1] حسن رياض : المرجع السابق جـ٢ ص ٣٥٩ . ص ٤٢١ .

[2] مذكرات الملك عبد الله : عمان – الطبعة الثانية – منشورات مجلة الرائد ص ٣٣٤ – ٣٣٥

[3] المصرى في ١٥ مايو ١٩٥٠.

[4] George Kirk : The Middle East 1945- 1950. p.311.

[5] حسن رياض : المرجع السابق جـ٢ ص ٤٥١

[6] المصرى في ٢١ مايو ١٩٥٠ .

[7] المصرى في ١٢ يونيو ١٩٥٠

كما رأت اليمن ضرورة القيام بالوساطة بين وجهات النظر المتعارضة حتى لاتتأزمُ الأمورُ . ولما كان قانون الجامعة يقضى بعدم فصل أحد الأعضاء إلا باجماع الأصوات فقد تعثر موقف خروج الأردن من الجامعة ، كما ظهرت نذر انسحاب مصر من الجامعة وحصر اهتمامها في شئونها الداخلية مالم يتم طرد الأردن من الجـ - وبعد مشاورات واتصالات ووساطات جرت بين حكومات الدول العربية اتفق على عدم فصل شرق الأردن من الجامعة ابقاءً على وحدة الصف على أن تؤخذ العهود والمواثيق على الملك عبد الله بأن ضمه شرق فلسطين إلى الأردن لن يؤثر ولن يمس التسوية النهائية لفلسطين وألا يعقد صلحاً منفرداً مع إسرائيل .

وكان ردُّ الأردن على ذلك أن ضمها للضفة الغربية يرضخ للتسوية النهائية للقضية ، كما أنه لم يدخل مطلقاً في مفاوضات مع اسرائيل اللهم إلا مجرد مباحثات عادية بخصوص شروط اتفاقية الهدنة [1] .

ولما كان المجتمعون يقدرون جيدا مركز الأردن الحرج والظروف المحيطة به فقد ساندوا موقفه وانفرجت الأزمة وأغمض الساسة العرب أعينهم عما حدث ، وأقدم العديد من الحكومات العربية على اقامة علاقات دبلوماسية مع الأردن ومن هنا لم يجد الوفد الأردنى حرجا فى حضور اجتماعات الجامعة العربية بجانب أحمد حلمى باشا ورجائى الحسينى اللذين كانا يمثلان فلسطين تمثيلا رمزيا .

وبذلك تحقق للملك عبد الله ضم الضفة الغربية بالرغم من احتجاج العديد من الفلسطينيين والدول العربية ، وتقوضت حكومة عموم فلسطين التى أنشئت تحت كنف جامعة الدول العربية وبتشجيع من مصر

وهكذا كانت المشكلة الفلسطينية سبباً في أحداث التوتر بين مصر والأردن ، وبالرغم من قسوة المحنة ومرارة المأساة فان شعب فلسطين لم يسلم من الهاترات بين الحكام في البلدين ومع أن الموقف كان يقتضى التكاتف والاتحاد بين الزعماء العرب لا التنافر والبغضاء والبحث عن مطامح خاصة فقد جذب كلٌ من ملكى مصر والأردن إلى جانبه بضعه نفر من أهل فلسطين ممن كانوا تحت إمرته وسلطانه ولايملكون شيئاً من حريتهم فيما يقولون أو يفعلون مما عمق الهوة ، وأدخل القضية الفلسطينية في غمار الصراعات بين الدول العربية بعضها البعض ، واصبح عربُ فلسطين هم ضحايا الكارثة بكل مراراتها والآمها

والسؤال الذى يطرح نفسه هو إذا كانت مصرُ قد عارضت في ضم الضفة الغربية إلى الأردن ، فهل كانت هناك بدائلٌ أخرى ايجابية ؟ وماذا تكون الحال لو أن الملك عبد الله كان قد تخلى عن إدارة شرق فلسطين ؟ وهل كان من الأفضل ان تظل الضفة الغربية وحدة قائمة بذاتها تقام عليها دولة لاتملك مقومات القوة أمام الاسرائيليين المتربصين لابتلاع كل فلسطين أم تنضم إلى دولة مثل شرق الأردن .

لقد رأى البعض أن أفضل طريقة لمعالجة الوضع القائم في الضفة الغربية آنذاك هو الاتحاد مع الأردن [2] لأن تخلى الملك عبد الله عنها سيؤدى إلى وقوعها فريسة في قبضة اسرائيل ، وأنه من الخير للقضية أن يقع هذا الجزء من فلسطين في يد عربية من أن يقع في يد يهودية خصوصاً وان المتطرفين من اليهود اعضاء منظمة ارجون التى يتزعمها مناحين بيجين كانوا يطالبون بضم القدس القديمة إلى اسرائيل [3] .

---

[1] المصرى في ٣ مايو ١٩٥٠ .

[2] حسن ريان : المرجع السابق جـ٢ ص

[3] المصرى : العدد ٤٤٦٨ في ٣ مايو ١٩٥٠ ص ٧ .

ورأى البعض الآخر أن الملك عبد الله خان العهد الذى أخذه العرب على أنفسهم بعدم ضم أى جزء من فلسطين إلى بلد أحدهم وتسليمها إلى أهلها ليحكموها كما يريدون كما رأوا أن ماحدث في أريحا لم يكن تعبيراً حقيقياً عن مشاعر الفلسطينيين . لأن الممثلين الذين حضروا عنهم هذا المؤتمر لم يمثلوا إلا قلة من عرب فلسطين وجهت إليهم الدعوة من الحكومة الأردنية ، كما أن رئيس المؤتمر كان معينا من قبلها [1] ، ولاتوجد سلطة محايدة تشرف على استفتاء حر لعرب فلسطين بل كان هناك الحاكم الأردنى في القسم العربى من فلسطين ، وأن فكرة ضم هذا الجزء من فلسطين إلى الأردن كانت تختمر في ذهن الملك عبد الله منذ أمد بعيد ، وأنه وجد فيما حدث في عام ١٩٤٨ فرصة سانحة لتحقيق اطماعه .

والواقع أن كلا من مؤتمر غزة ومؤتمر أريحا كان مؤتمرا فلسطينيا عقد من أجل بحث مصير ماتبقى من فلسطين من أجزاء وإذا كان مؤتمر غزة قد أوجد في فلسطين حكومة عربية مستقلة مؤيدة من الجمعية التأسيسية التى انعقدت في مدينة غزة ، فانه لم يكن يمثل الفلسطينين جميعهم كما حدث في مؤتمر اريحا الذى بايع المؤتمرون فيه الملك عبد الله ملكا على ماتحت يده من فلسطين لذلك فان ماصار عليه أمر فلسطين بعد ١٩٤٨ ، ومالحق بشرف الأمة العربية من أهانة كان يقتضى التكاتف والاتحاد بين الزعماء العرب لتقليل الخسائر ، ومع أن ضم الملك عبد الله للضفة الغربية فقد أفقد الفلسطينين حكومتهم الخاصة التى كان يمكن أن تكون لها هويتها المستقلة في المطالبة بحقوق الفلسطينين ، والتفاوض باسمهم مع الهيئات الدولية وغيرها بدلا من أن تدخل القضية الفلسطينية في غمار الصراعات بين الدول العربية بعضها مع البعض ، فانه نظرا لضعف هذه الحكومة التى ولدت في غزة وهى تحتضر ، وشكلت كيانا هزيلا يصعب الاعتماد عليه ، ونظرا لعجز الحكومات العربية عن القيام بعمل فعال في فلسطين ، وبسبب أن الفلسطينين كانوا لايملكون مثل اليهود جهازا منظما يمكن أن يتولى شئون الادارة بينهم ويكفل حمايتهم فان اتحاد الضفة الغربية مع الضفة الشرقية بصفة مؤقتة حتى يعيد العرب حساباتهم ، وتتم تسوية المشكلة كان الحل الأمثل لضمان عروبة الأجزاء الباقية من فلسطين ، خصوصا وان انجلترا كانت لاتستطيع أن تقف مكتوفة الأيدى اذا تعرض تواجد الأردن للخطر في ذلك الوقت .

وقبل أن نختم حديثنا يطرح سؤال آخر نفسه وهو : هل كان الملك عبد الله أكثر وعياً ومعرفة بقدرة اليهود العسكرية من غيره من زعماء العرب فحاول أن يجنب بلاده الهزيمة بدعوته إلى حل المشكلة سلميا وميله إلى قرارات التقسيم أم أن تطلعاته التوسعية على حساب فلسطين كان تحقيقها الهدف الأول له

يرى البعض أن الحكومة الأردنية كانت تعرف القوة الحقيقية لليهود ، وتعرف أن العرب لايملكون مثل مايملكه اليهود من تنظيم وتخطيط ، ومن هنا حاولت مصارحة الزعماء العرب بهذه الحقيقة ، وعملت على الوصول إلى حل سلمى بالطرق السياسية كما رأت في التقسيم أمراً واقعاً يجب أن ينظر إليه في ضوء عجز الحكومات العربية عن القيام بعمل فعال في فلسطين وهذا ما أثبتته التجارب المريرة فيما بعد ، وإذا كانت الحكومة الأردنية قد اتهمت بالترويج لفكرة التقسيم ، فينبغى أن نذكر أن هذه الفكرة هى المطلب الذى تطالب به الدول العربية الآن ، ولاتستطيع الوصول إليه [2] .

ويرى البعض الآخر أن حكومة شرق الأردن اقترفت مخالفات خطيرة في شأن القضية . كما أن الملك عبد الله كان له دور في تثبيط الهمم بعد أن حل جيش التحرير العربى وجيش الجهاد المقدس

---

[1] حسن ربان : المرجع السابق جـ٢ ص ٣٠٣ .

[2] منير الماضى وسليمان موسى : تاريخ الأردن في القرن العشرين ص ٤٧١ .

الفلسطيني ووقف مناوئاً للهيئة العربية العليا [1] كما أنه رأى في امكانية قرار التقسيم بارقة أمل وفرصة نحو تحقيق تطلعاته التوسعية التى طالما راودته والواقع ان قبول الحكومة الأردنية بالأمر الواقع وهو التقسيم يجب أن ينظر إليه على ضوء عجز الحكومات العربية عن القيام بعمل فعال لانقاذ فلسطين .

حقيقة لقد دخل العرب جميعا المعركة ، وهو يؤمنون أن الحق كله في جانبهم ، وأن حكامهم لم يعدوا أنفسهم الاعداد الكافى لدخول المعركة ، بل كانت معالجتهم للقضية غاية في الاهمال والهزال ، وكانت اجتماعاتهم تعقد لمجرد الكلام والخطب الضخمة الجوفاء إلا من التهديد والوعيد بالقاء اليهود في البحر ، وشرب القهوة العربية على شاطئ تل ابيب بعد النصر المبين ، كما أن بعض الحكام العرب إستغل القضية في تقوية مركزه او تدعيما لمنصبه يضاف إلى ذلك اختلاف سياسات بعض الدول العربية أثناء المعركة ، فلم يقاتلوا صفا واحدا بل لعبت الأهواء السياسية والشخصية بهم فأضاعوا القضية [2] يضاف إلى ذلك انه من سوء حظ الفلسطينيين أن المهرجين والغوغاء والمتطرفين لعبوا دورا كبيرا في عدم النظر إلى الأمور بما يستحقه من أهمية وتعقل بل بلغ الأمر بهم أن أخذوا يلصقون تهمة الخيانة بكل من يحاول وقف النزيف ، وهذا ليس بعجيب في أمة أختلطت عليها المفاهيم [3] وعلى أى حال فبعد ماحدث لفلسطين توالت في شرق الأردن أعمال العنف التى انتهت باغتيال الملك عبد الله في ٢٠ يوليو ١٩٥١ في مدخل المسجد الأقصى بالقدس بدافع النقمة من تصرفاته . يضاف إلى ذلك أن عبد الله التل رحل إلى القاهرة وانضم إلى المناوئين للحكم الهاشمى في الاردن و صبح بالتالى اللسان المعادى لهم ، وحاول تغيير الاوضاع في الأردن عن طريق الاتصال ببعض الضباط العرب وتحريضهم عن التخلص من القيادة الانجليزية [4] ولكنه لم يفلح وفى اعقاب مقتل الملك عبد الله خلفه ابنه طلال الذى لم يستمر في الحكم سوى ثلاثة عشر شهرا بسبب اضطراب أعصابه واصابته بلوثة عقلية فاجتمع البرلمان الأردنى في ١١ اغسطس ١٩٥١ وقرر خلعه وتولية ابنه حسين ملكا على الأردن تحت الوصاية إلى أن بلغ سن الرشد في عام ١٩٥٣ فباشر مهام الملك بنفسه ولما قرر الملك حسين الغاء المعاهدة الإنجليزية لتحرير مملكته نهائيا من سيطرة الانجليز كان هناك عقبة وهى تدبير نفقات الجيش التى كان الانجليز يدفعونها لذلك تعهدت حكومات مصر وسورية والسعودية بدفعها وعقدت مع الأردن ميثاقا بذلك في عام ١٩٥٧م . مقابل إنهاء المعاهدة ، وجرت اتصالات بين الحكومة الأردنية وإنجلترا انتهت إلى لغاء المعاهدة وجلاء القوات الانجليزية عن الأردن [5] ولكن الموقف لم يستمر على هذا المنوال إذ نجحت انجلترا والولايات المتحدة في تغيير موقف الملك حسين بحجة تدخل مصر وسورية في شئون الأردن فنقض الملك حسين ميثاق عام ١٩٥٧م . واستعاض عن ذلك بمساعادت أمريكية إنجليزية .وفى خلال تلك الفترة قامت الوحدة بين مصر وسورية ولم يسع عاهلى العراق والأردن إلا مجاراة الموقف فكونا اتحاداً بين مملكتيهما على أن الأمر لم يطل فقد اشتد الغليان في العراق على حكامه وانفجرت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ م فألغت هذا الاتحاد ، وفى اثناء ذلك تعرض الأردن لتدخل

---

(١) المصرى في ٧ يونيو ١٩٥٠ مقال لاستاذ حسن على علوية تحت عنوان سياسة الملك عبد الله في فلسطين .

(٢) مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين حقائق عن قضية فلسطين صرح بها سماحة المفتى محمد امين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا القاهرة ص ١٧٠- ١٧٢ .

(٣) منير الماضى وسليمان موسى : المرجع السابق ص ٤٧١ .

(٤) محمد نصر مهنا : مشكلة فلسطين أمام المجتمع العالمى ١٩٤٥ - ١٩٦٧ ص ٢٦٢ .

(٥) دروزة : السابق ص ٦٨٩ .

انجليزى بحجة حماية استقلاله من التدخل العربى.وقد أدى نزول القوات الإنجليزية إلى الأردن لاستنكار عام فلم يسع الإنجليز إلا الانسحاب فعادت السيادة العربية على الأردن مرة ثانية .

ومما سبق يتضح أن الأردن لم يكن دولة معروفة بهذا الاسم قبل عام ١٩٢٠ ، وانه منذ نشأته تعرض للعديد من الأخطار والمتاعب ، فالخطر يحدق به من جهات عديدة ، والمساعدة على عدم انهياره يؤدى بلا محالة إلى الحفاظ على جزء عزيز من اجزاء الوطن العربى الكبير .

والجدير بالذكر أنه في يونيو ١٩٦٧ احتلت اسرائيل الضفة الغربية لنهر الأردن ، وقامت ضمن خطة مرسومة بعمليات استيطان واسعة لأجزاء منها فنقلت إليها اعدادا من السكان اليهود ، وطبقا لاتفاقات اوسلو اتفق على نقل السلطة في الضفة وقطاع غزة من الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية الاسرائيلية إلى الفلسطينين .

# الكـــويت

ان دولة الكويت[1] جزء من الوطن العربـى الكبير ، وركن من أركان الجزيرة العربية الشمالى الشرقى يحدها من الشمال وشيء من الغرب الجمهورية العراقية ، أما من الجنوب والجنوب الغربى فتحدها المملكة العربية السعودية ، ومن الشرق الخليج العربى الذى يتفرع منه خليج الكويت .

وتبلغ مساحة الكويت حوالى ٢٠،٤٠٠ من الكيلو متر المربع [2]

وينحدر سكان الكويت من اصل عربى حيث هاجر اليها الآلاف من جزيرة العرب[3] منذ فترة طويلة ، واستقروا بها ومنذ أن أنشئت الكويت في حوالى ١١٣٠هـ / ١٧١١م تقريبا ، والحكم فيها محصور في آل الصباح [4] الذين رضى بهم شعب الكويت ، وقبل بحكمهم .

وعلاقة الشعب الكويتى بجيرانه علاقة أخوية متينة ، وثقها رابطة الجوار ، وأواصر القربى والمصاهرة .وبقيت الكويت تحت حكم آل الصباح مكانا أمينا يلجأ اليه كلّ من دارت عليه الدوائر ومن ذوى النفوذ ، وظلت ملجأ للأحرار الذين يهربون من جور العثمانيين وبطشهم كما ابتعدت عن مشكلات العراق وقبائله ، وبقيت محتفظة باستقلالها بعيدة عن أى تدخل مباشر أو غير مباشر من جيرانها ثم أكد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية ما يحدثنا عنه التاريخ من مفاوضات جرت في لندن بين الدولة العثمانية وبريطانيا في هذا الشأن ، وقد مثل الدولة العثمانية حقى باشا على حين مثل بريطانيا السير "إدوار جراى "وانتهت المفاوضات بينهما باتفاقية في ٢٩من يوليو ١٩١٣م اعترفت فيها الدولة العثمانية باستقلال الكويت الإدارى وممارسة شيخها لاستقلاله الذاتى [5] ووعدت بالكف عن أية محاولات للتدخل في شئونها أو الظغط عليها وعندما قامت الحرب العالمية الأولى في عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م أعلن الانجليز حمايتهم رسميا على الكويت بالاتفاق مع الشيخ مبارك ، واستمرت الاحوال على هذا المنوال حتى أعلن استقلال الكويت رسميا ١٩ من يونيو ١٩٦١م [6] في عهد الأمير عبد الله السالم الصباح الذى أعلن إلغاء

---

[1] الكويت تصغير الكوت بمعنى القلعة . للتفاصيل انظر. لوريمر : الكويت في دليل الخليج الجزء الاول ـ السفر التاريخى ، الكويت ، شركة الربيعان للنشر ، الطبعة الاولى ١٩٨١ ص ٢٢

وكانت الكويت قبل اكثر من ثلثمائه عام صحراء لاينتجعها سوى البدو الرحل انتجاعا للماء والكلأ ، وقد بررت أهمية الكويت في عهد عبدالله بن صباح كمشيخة لها أهميتها انظر. بدر الدين الخصوصى : دراسات في تاريخ الخليج العربى ص١ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل الطبعة الأولى ١٩٧٨ ، ص ١٠٤ .

[2] تذكر احدى المراجع ان مساحة الكويت نحو خمسة عشر الفا من الكيلو مترات المربعة .

انظر . راشد الفرحان : ماضى الكويت وحاضرها مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والبلاد العربية ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

[3] ينتمى معظم أهالى الكويت الى العشائر العربية البدوية في شمال وسط الجزيرة العربية ، وقيل ان أصلهم من قبيلة عنيزة في نجد .

للتفاصيل انظر. راشد الفرحان : المرجع السابق ص ٣٥ بينما يذكر خالد الزيد في تعليقه على كتاب لوريمر حـ١ ص٢١ ان الصواب هو عنزه القبيلة المعروفة ، وليست عنيزه في القصيم من اقاليم نجد .

[4] الفرحان : المرجع السابق ص ٦١ بينما تحدد احدى الروايات هذه البداية بعام ١٧١٦ م انظر . لوريمر : المرجع السابق حـ١ ص٢٢

[5] الفرحان :المرجع السابق ص ٢٣١

[6] عن تفاصيل هذه الاتفاقية انظر أمين سعيد :الخليج العربى في تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ،بيروت ،دار الكاتب العربى ص ١٨٨-١٨٩ .

معاهدة ١٨٩٩ الموقعة بين بلاده وبريطانيا .

وقد سارعت دول العالم للاعتراف بهذا الاستقلال ولم يتخلف عن الركب سوى حكومة اللواء ' عبد الكريم القاسم ' في العراق في ذلك الوقت – التى ادعت أن الكويت قضاء عراقى سليب يجب أسترداده ، وانه قد يوافق على تعيين اميرها قائم مقام عليها بعد الدمج ، ونتيجة لذلك طلب أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح تدخل القوات البريطانية لحماية بلاده وايقاف أية تصرفات عدوانية من قاسم العراق ونتيجة لجهود الرئيس جمال عبد الناصر تم احلال قوات عربية من السعودية ومصر والأردن والسودان أرسلتها دول الجامعة العربية لتحل محل القوات البريطانية التى خرجت من الكويت في العاشر من اكتوبر عام ١٩٦١م وكانت الحكومة المصرية أول من بارد إلى تأييد الكويت شقيقتها وجارتها ، فوضعت قواتها تحت تصرف القيادة الكويتية لصد كل طارئ ، وحذت الحكومات العربية الأخرى حذوها .

وبعدها اعترف عبد الكريم قاسم باستقلال الكويت مما أوقف كل الازعاجات ، وأصبحت الكويت عضوا في الأمم المتحدة ابتداء من ١٤ من مايو ١٩٦٣ ( ١٣٨٤هـ) وعضوا في جامعة الدول العربية ، كما ساهمت في جميع الأعمال الدولية العامة المشتركة بدبلوماسية واعية وهادئة ، كما ارتبطت بعد ذلك بعلاقات دبلوماسية مع العراق .

وبعد أن انهار حكم " عبد الكريم قاسم " في فبراير ١٩٦٣ تحت ضربات الجيش العراقى ولقى قاسم العراق حتفه قامت في بغداد حكومة أكثر اعتدالا وإدراكا للواقع وميلا للتعاون مع جاراتها العربيات وبذلت الوساطات للتوفيق بين العراق والكويت وإصلاح ما أفسده عبد الكريم قاسم وكان من نتيجتها زيارة وفد كويتى لبغداد برئاسة الشيخ " صباح السالم الصباح " ولى العهد ورئيس الوزراء بدعوة رسمية من الحكومة العراقية ، وبترحيب من المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية [1] وبعدها بدأت العلاقات بين البلدين تسودها روح الوفاق والأخوة واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى حدث الغزو العراقى للكويت في الثانى من اغسطس ١٩٩٠ – والذى يعد من اعظم المحن التى نزلت بالأمة العربية – ضاربا بذلك كل العهود والواثيق مما قلب دفة الأمور وأدى إلى شق الصف العربى ووضع العديد من قضاياه الرئيسية في زاوية النسيان .هذا إلى جانب أنه فجر زلزالا رهيبا في النظام العربى ، وأوجد شرخا اضعف من قواه وهدد أمنه

وخلال فترة الاحتلال العراقى للكويت التى قاربت سته أشهر رفض النظام العراقى كافة الجهود والمبادرات السلمية التى وجهت اليه ، واستمر في تحديه للإرادة الدولية كما فشلت العقوبات الاقتصادية في اجباره على الامتثال لقرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ وما تبعه من قرارات إذ استمر في تقوية وجوده العسكرى داخل الكويت ونهب ثراوتها ، وتدمير مؤسساتها الثقافية والعلمية والتربوية .

وانتهى الأمر باصدار مجلس الأمن لقراراته بشأن انسحاب العراق الفورى وغير المشروط من الكويت ، ورفض العراق لهذه القرارات ، وقيام الحرب بين قوات التحالف وقوات صدام حسين في ١٧ يناير ١٩٩١ والتى انتهت بتحرير الكويت واعادة الشرعية والسيادة اليها وقبول العراق غير المشروط لجميع قرارات مجلس الأمن المتصلة بالأزمة ، بما فيها دفعه للتعويضات لما الحقه بالكويت من خسائر .

والجدير بالذكر أنه خلال حرب تحرير الكويت التى استغرقت ستة أسابيع قام النظام العراقى بالقبض على ألوف الكويتين بطريقة عشوائية ، وايداعهم في السجون العراقية كما أقدم على ضخ كميات

---

[1] أمين سعيد : المرجع السابق : ص٢٠٦.

كبيرة من البترول من ميناء الأحمدى في مياه الخليج مما أحدث تلوثا كبيرا في البيئة ، واتبع ذلك بتدمير آبار النفط الكويتية واتباع سياسة الأرض المحروقة .

وعلى الرغم من الآثار الفادحة التى لحقت بالكويت من جراء الغزو العراقى ، فقد تم تجاوز المحنة والمعاناة وعادت الكويت كما كانت واحة وارفة الظلال تضمد جراحها بارادة وصمود ، وتعمل من اجل الخير والبناء وان بقيت معاناة أكثر من ٦٠٠ أسرة وعائلة كويتية تعانى من فراق الأب أو الزوج أو الأبن خاصة وان النظام العراقى لايزال يحتفظ بالعديد من الأسرى الكويتين في ظلمات سجونه ومعتقلاته [١] .

ومما سبق يتضح أن العدوان العراقى على الكويت كان انتهاكا للمبادئ والمواثيق الدولية وروابط حسن الجوار ، وان عواقبه كان تأثيرها شديدا ليست فقط على الكويت وانما على الأمة العربية بصفة عامة والشعب العراقى بصفة خاصة .

## القضية الفلسطينية وواقعها المعاصر

لفلسطين في التاريخ القديم والوسيط والحديث ماض طويل وعلاقات مع الفراعنة والفرس والبابليين والآشورين والمقدونيين والعرب واليهود والدولة العثمانية واوربا ونظراً لأنها قبلة للاديان ، وتعد ارضا مقدسة للديانات الثلاثة فان التطلع للسيطرة عليها والتنازع على امتلاكها ظل قائما منذ فجر التاريخ وكفاح العرب في فلسطين كفاح اقتضته المروءة وحتمية المصلحة القومية .

والجدير بالذكر أن كافة الاسانيد التاريخية تؤكد أن فلسطين بلد عربى ، وأن ادعاء الصهاينة أن أرض فلسطين لهم من اقدم العصور ادعاء باطل . فلقد كانت فلسطين منذ عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد تعرف بارض كنعان نسبة إلى قبيلة " كنعان " العربية التى نزحت اليها من جزيرة العرب ، ومعنى ذلك أن العرب أقدم من اليهود في سكنى فلسطين اذ لم يأت اليهود اليها الا في عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ثم تعرضوا فيها للابادة والقتل على يد " بختنصر " البابلى بحيث لم يبق منهم في فلسطين سوى أعداد قليلة .

وقد استمرت الهجرات العربية الى فلسطين حتى جاءت الفتوحات الاسلامية فأصبحت فلسطين عربية اسلامية ، ودان أهلها للحكم الاسلامى [٢] ومعنى ذلك أن اطماع اليهود في فلسطين تقوم على ادعاء مزيف باطل مؤداه أن هذه البلاد بلادهم منذ أقدم العصور ، وأنهم خرجوا منها كرها .

وعلى كل حال فقد وزع اليهود في شتى أنحاء العالم ، وكانوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع الذى يعيشون فيه ، ولم تشهد فلسطين قبل القرن التاسع عشر الميلادى هجرات يهودية للاستيطان الا في عام ١٤٣٢م عندما اضطر بعض يهود اسبانيا والبرتغال الى الهجرة لفلسطين فرارا من محاكم التفتيش ولم يزد عدد هؤلاء وعدد احفادهم عن ثلاثة الاف كانوا يعيشون على الهبات والتبرعات [٣] فيما عدا ذلك لم يكن يقصد فلسطين من اليهود سوى كبار السن الذين كانت تهفو نفوسهم الى زيارة هذه البلاد [٤] .

ولم تلبث أن نشأت الحركة الصهيونية [٥] في القرن الماضى في أعقاب الاضطهادات التى تعرض

---

[١] لتفاصيل الجهود التى تبذلها اللجنة الوطنية لشئون الأسرى والمفقودين بالكويت انظر د. دلال الزين استعراض وابراز قضية انسانية لواقع الأسرى والمفقودين الكويتين . دراسة تحت النشر .

[٢] أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٠ ص٤٢٩ وما بعدها .

[٣] حول تفاصيل ذلك انظر روجيه جارودى : اسرائيل والصهيونية السياسية ص ٤١.

[٤] محمود منسى : تصريح بلفور ، القاهرة ، دار الفكر العربى ص ١٩.

[٥] تنتسب الصهيونية Zionism الى جبل صهيون الذى تقوم عليه مدينة القدس.

ولم تلبث أن نشأت الحركة الصهيونية [٥] في القرن الماضى في أعقاب الاضطهادات التى تعرض لها اليهود في روسيا عقب مقتل القيصر نيقولا الثانى عام ١٨٨١ م واتهام اليهود بتدبير مقتله ، والاضطهادات التى تعرضوا لها في بولونيا ورومانيا وغيرهما بسبب عدم ولائهم للدول التى يعيشون فيها كمواطنين وبسبب سيطرتهم على مقدرات هذه الدول وارتكابهم العديد من الجرائم ضد شعوبها فتأسست الجمعيات في روسيا ورومانيا لانشاء مستعمرات في فلسطين يستوطنها اليهود المهاجرون اليها من شرق أوربا مثل جمعية احباء صهيون التى تأسست فى روسيا لتنظيم وتمويل عمليات الاستيطان في فلسطين ، وصار لهذه الجمعية العديد من الفروع فى المانيا والنمسا وأنجلترا وغيرها.

والحركة الصهيونية حركة سياسية ترمى الى جمع شتات اليهود ، وتوطينهم في فلسطين بحجة أنها أرض الميعاد.

ولفظة صهيونية مشتقة من صهيون ، وهو أحد الجبال المحيطة بالقدس.والمعروف أن هذه الحركة توسعية عدوانية ليس فقط بالنسبة لفلسطين بل ، للبلاد العربية المجاورة لها ويؤكد ذلك أن الوطن الصهيونى المزعوم في نظر المتطرفين من الصهاينة يمتد من نهر الفرات في العراق الى نهر النيل في مصر.

ومع ذلك فان الصهيونية لم تعرف كحركة سياسية الا فى القرن التاسع عشر الميلادى خاصة بعد عقد المؤتمر الصهيونى الأول في مدينة بال Bale بسويسرا في عام ١٣١٥ هـ/١٨٩٧ م بدعوة من الصحفى النمساوى تيودور هرتزل Theodor Hertzel المنشئ الأول للصهيونية السياسية العالمية [١] وصاحب كتاب الدولة اليهودية الذى صدر في فبراير ١٨٩٦ م والذى حاول فيه ان يقيم الدليل على ان اليهود يمثلون امة متميزة ، وان المشكلة اليهودية مشكلة قومية مضطهدة يجب ان تأخذ طريقها إلى الحل.

وقد سبق عقد هذا المؤتمر دعاية مكثفة له من أجل كسب التاييد العالمى لليهود وبحضور ٢٠٤ من اقطاب اليهود وقادتهم انعقد المؤتمر بغرض تدارس المشكلة اليهودية وموضوع انشاء وطن قومى لليهود.

ولقد كان من أهم نتائج هذا المؤتمر تأسيس المنظمة الصهيونية والعلم الصهيونى ، والنشيد القومى ، هذا إلى جانب العمل على بذل المساعى لدى حكومات الدول للعمل على تحقيق أهداف الصهيونية ومن أهمها تهجير اليهود المشتتين في انحاء العالم الى فلسطين لانقاذهم من الاضطهاد الذى يتعرضون له في أوربا وانشاء دولة لهم هناك .

وهكذا تبلورت الفكرة الصهيونية في هذا المؤتمر ، ودخلت في معترك السياسة الدولية لكسب تعاطف العالم نحوها [٢] ثم توالت بعد ذلك عقد المؤتمرات الصهيونية من أجل تحقيق أهداف اليهود في فلسطين وأمانيهم باقامة وطن لهم في فلسطين وقد تركزت خططهم على النحو التالى :

١- تشجيع استعمار فلسطين بواسطة المهاجرين اليهود خاصة من الزراع والعمال .

---

[٥] تنتسب الصهيونية Zionism الى جبل صهيون الذى تقوم عليه مدينة القدس.

[١] محمد خليفة التونسى : بروتوكلات حكماء صهيون - ترجمة عباس محمود - بيروت ، دار الكتاب ١٤٠٤ هـ ص ٣٣.

[٢] من المفارقات ان اول مصرى قابله هيرتزل كان مصطفى كامل الذى سعى إلى لقاء هيرتزل لكى يقنعه بمنح تأييده للقضية المصرية . انظر . محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل . الكتاب الاول ، القاهرة ، دار الشروق ١٩٩٦ ص٧٢ .

٢- توجيه أنظار يهود العالم نحو فلسطين .

٣- بذل المساعى اللازمة للحصول على التصريحات المؤيدة لهم من الدول الكبرى [١] .

وقد انتهز هرتزل فرصة ظروف الأزمة المالية التى كانت تمر بها الدولة العثمانية ، وفرصة تكالب الدول الاستعمارية عليها ، وحروبها المريرة مع روسيا فعرض على السلطان عبد الحميد حل ازمته المالية في نظير السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين الا أن السلطان رفض طلبه ، وكرر هرتزل محاولته مرتين ، ولكن عبد الحميد حسم الموقف بقوله " انى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى ، لقد ناضل في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، واذا مزقت امبراطوريتى يوما فانهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن [٢] .

ونتيجة لأطماع اليهود بدأ السلطان عبد الحميد يهتم بالأوضاع في فلسطين فأدخل تعديلا للوضع الادارى لبيت المقدس ليصبح متصرفية تابعة للباب العالى مباشرة بعد ان كان سنجقية تابعة لباشا دمشق .

وهكذا صمد عبد الحميد الثانى أمام كل الاغراءات التى حاول بها اليهود زعزعته عن موقفه . ونتيجة لضغوط الدول الكبرى وافقت الدولة العثمانية على السماح لليهود بدخول فلسطين من أجل الزيارة فقط بشرط الا تطول مدة أقامتهم عن ثلاثين يوما ثم سمحت لهم بعد ذلك باطالة مدة اقامتهم إلى ثلاثة شهور ، ونظرا لمماطلة اليهود ، ومحاولتهم البقاء داخل فلسطين أكثر من المدة المقررة لهم ، عين السلطان عبد الحميد " محمد شريف رءوف باشا " المشهور بشدته متصرفا على القدس ، وأمره بتطبيق قانون الثلاثة الشهور بصرامة .

ولم تلبث الامور أن تطورت لصالح اليهود نتيجة لضعف الدولة العثمانية ، وانشغالها بالمؤامرات الخارجية والداخلية التى تسلطت عليها فضعفت الرقابة على اليهود في فلسطين واستغلوا ذلك في انشاء مستعمرات خاصة بهم ، وانشاء أول مدرسة عبرية للبنات في يافا وعلى كل حال فانه نتيجة لفشل هرتزل في اقناع الدولة العثمانية بالهجرة اليهودية الى فلسطين بدأ يتجه نحو بريطانيا ويعقد آماله عليها ، فشجع اليهود على السعى لاتخاذ بريطانيا مركزا رئيسيا لنشاطهم ، ومقرا للكثير من منشآتهم المهمة [٣] .

ونتيجة لذلك تحولت بريطانيا الى مركز للزعامة الصهيونية وتولى " حاييم وايزمان " زعامة الحركة الصهيونية هناك وكون جماعة سياسية كان منها " هربرت صموئيل " وبدأ في الاتصال برجال الدولة البريطانية .

والسؤال المطروح هو لماذا كثف زعماء الحركة الصهيونية نشاطهم في بريطانيا بالذات

الواقع أن الحركة الصهيونية العالمية ركزت نشاطها خصوصا قبيل الحرب العالمية الأولى تجاه بريطانيا من أجل اقامة دولة لليهود في فلسطين لأن زعماء هذه الحركة كانوا على بينة من تطلع الاستراتيجية البريطانية نحو فلسطين المتاخمة لقناة السويس وقد أكد ذلك الزعيم الصهيونى " حاييم وايزمان " بقوله " أنه اذا ما وقعت فلسطين في منطقة النفوذ البريطانى ، ثم شجعت بريطانيا استيطان اليهود في فلسطين وإقامة مجتمع يهودى يعتمد على بريطانيا ، وأمكن ادخال مليون يهودى هناك في فترة تمتد من عشرين الى ثلاثين عاما فان هؤلاء اليهود سيطورون هذا القطر ويكونون حرسا فعالا يحمى قناة

---

[١] قاسم حسن : العرب والمشكلة اليهودية ، بغداد ، المؤسسة التجارية ١٩٦٤ص٩٣ - ٩٤ .

[٢] عبد الحميد الثانى : مذكراتى السياسية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ ص٢٤ وما بعدها .

[٣] محمود حسن صالح : تصريح بلفور ، بيروت ، دار الفكر العربى د . ت ص٢٧- ٢٨ .

السويس . يضاف إلى ذلك أن اليهود وجدوا بين الوزراء الانجليز من يتحمس لقضيتهم امثال جورج لويد رئيس الوزراء ، وآرثر بلفور وزير الخارجية وفيما يلى نعرض لتصريح بلفور وأسبابه .

## مقدمات صدور تصريح بلفور :

لما أطلت الحرب العالمية الأولى برأسها ، وكشرت عن أنيابها في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م انضمت تركيا الى جانب المانيا وحلفائها ضد انجلترا وفرنسا وحلفائهما مما أزعج بريطانيا وجعلها تحاول كسب ود العرب لضمهم اليها من أجل تحقيق أهدافها ، ونجحت في ذلك الى حد كبير .

أما عن اليهود فقد اتخذوا موقفا وسطا بين المعسكرين المتنازعين ، فبعضهم أعلن تأييده للمعسكر الألمانى التركى واتصلوا بالسلطان العثمانى ، وعرضوا عليه القيام بتسديد ديون الدولة العثمانية وتجنيد جيش من يهود بولونيا للمحاربة بجانب الاتراك مقابل التنازل عن فلسطين يضاف الى ذلك قيام هؤلاء بالاتصال بالامبراطور الالمانى " وليم الثانى " ووعودهم له بالمساندة في نظير توسطه للحصول من السلطان العثمانى على تصريح باقامة شركة يهودية تحت حماية المانيا في فلسطين ، ولكنهم لم يجدوا استجابة واضحة منه [١]

أما الجانب الثانى فقد اتجه نحو بريطانيا ، وحاول ان يؤكد لها بأن موافقتها على انشاء وطن قومى لليهود في فلسطين يساعد على ترسيخ النفوذ البريطانى في بلاد الشرق الاوسط والهند .

وعلى كل حال فبعد أن استطاع القائد الانجليزى " اللنبى " دخول فلسطين في عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م وضعت بريطانيا السير " هربرت صمويل " أحد أقطاب الصهيونية والانجليزىالجنسية مندوبا لها في فلسطين ، وقد عمل هذا المندوب على تقريب وجهات النظر بين الانجليز واليهود بشأن فلسطين ، يضاف الى ذلك تمكن الزعيم الصهيونى " حاييم وايزمان " من الاتصال باللورد آرثر جيمس بلفور ، واثاره اهتمامه بشئون اليهود وضرورة توطينهم في أرض فلسطين ، ونتيجة لذلك طلب بلفور من زعماء الحركة الصهيونية تقديم مشروع يوضح مطالبهم في فلسطين .

## اسباب صدور تصريح بلفور

تعددت الأقوال حول أسباب صدور هذا التصريح وان كانت في مجملها تدور حول ما يلى

١- محاولة بريطانيا كسب عطف يهود العالم وخاصة يهود أمريكا في حربها مع المانيا حتى يضغطوا على الحكومة الأمريكية لدخول الحرب بجانب الانجليز ، وحتى تضمن بريطانيا فتح أسواق المال العالمية لها أثناء الحرب [٢] .

٢- تطلع بريطانيا الى الحصول على اختراع عالم الكيمياء اليهودى " حاييم وايزمان " رئيس المنظمة الصهيونية في بريطانيا والخاص باخراج وسيلة قليلة التكاليف لانتاج مادة الاسيتون Aceton التى كانت تستعمل كمذيب للبارود ، والتى كانت بريطانيا في حاجة لها أثناء الحرب .

٣- تطلع بريطانيا الى مساندة العناصر الصهيونية في المانيا والنمسا لها لكى يقوم هؤلاء بدورهم المخرب من داخل هذه الدول المعادية لبريطانيا ، بالاضافة الى سحب أموالهم من بنوك هذه الدول حتى

---

[١] مسى : المرجع السابق ص٢٥ .

[٢] فيشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث - ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع - القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ص٥٣٢ .

يهتز اقتصادها [1]

٤-خشية بريطانيا من أن يسبقها الالمان في كسب ود اليهود وأصدار وعد لهم بالاستيطان في فلسطين [2]

٥- رغبة بريطانيا جذب اليهود في صفها حتى يصبحوا اعوانا لها في منافسة فرنسا لها في بلاد الشام .

٦- زرع دولة غربية في قلب الوطن العربى حتى تكون مصدر قلق واستنزاف دائم لأبناء الأمة العربية .

٧- محاولة ابقاء روسيا في الحرب بعد قيام الحركة الشيوعية فيها - خصوصا - وأن اليهود كانوا يسيطرون على الصناعات الروسية ، ولهم دور قيادى في الأحداث هناك .

٨- رغبة بريطانيا في حماية مركزها في مصر وتأمين طرق مواصلاتها هناك ، وذلك عن طريق مساندة اليهود لهم في فلسطين

التصريح من الناحية القانونية :

وتصريح بلفور من الناحية القانونية لم يكن سوى رسالة صادرة من وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد Rothschild أحد اثرياء اليهود ، وابرز زعماء الانجليز من الصهاينة نصها :

عزيزى اللورد روتشلد:

يسرنى جدا أن أنقل لكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأمانى اليهودية الصهيونية الذى دفع إلىّ الحكومة ووافقت عليه .

ان حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف إلى اقامة وطن قومى في فلسطين للشعب اليهودى ، وسوف تبذل اقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوى على أى مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولابحقوقهم أو مركزهم السياسى الذى يتمتعون به في البلدان الاخرى [3] .

وعند تحليلينا للتصريح يتضح انه يحتوى على شقين :

يتضمن الشق الأول عطف الحكومة البريطانية على فكرة تأسيس وطن قومى لليهود في فلسطين وبذل جهودها من أجل تحقيق هذه الغاية . حقيقة ان التفسيرات تعددت حول مضمون التصريح على السنة الزعماء البريطانيين باسلوب يرضى العرب أحيانا ويتحاشى سخط اليهود أحيانا أخرى فقال بعضهم ان هذا التصريح لايعنى البدء في انشاء وطن قومى لليهود مباشرة وانه لم يعد اليهود بشئ محدود ملموس وقال البعض الأخر أنه منح اليهود كل شئ [4] .

وإلى جانب ذلك فان الكنيسة الانجليزية أعربت عن معارضتها لهذا التصريح ورأت بأن ايجاد مركز لليهود في فلسطين سيكون معاديا للمسيحية [5] .

---

[1] عن تفاصيل أثر تصريح بلفور على اليهود الألمان انظر

Stein Leonard : The Balfour Declaration london 1961 pp. 569 - 570

[2] حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين ، المجلد الأول ، القاهرة ، دار لمعارف ١٩٧٣ ص٢٠٩ .

[3] عن تفاصيل هذا الوعد وملابساته من مراسلات بين بلفور واليهود انظر : محمد عبد الرءوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ - ١٩١٨ القسم الثانى ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤ ص ٢٥- ٣٤.

[4] عن تفاصيل هذه المناقشات انظر :

Hansard's parliamentary Debates : official Reports. Fifth Series Vol X p. 382.

[5] محمود مسى : الشرق العربى اثناء الحرب العالمية الأولى ص ٢٦٦.

أما عن الشق الثانى من التصريح فيتضمن مساندة بريطانيا للحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين وتجنب ذكر كلمة عرب وهذا يعنى وضع عرب فلسطين في عداد الأقليات على حين كانت نسبتهم في ذلك الوقت تزيد على ٩٠٪ في حين وصف الأقلية اليهودية التى كانت تعيش في فلسطين بأنها الشعب اليهودى . ومن هنا فالتصريح يتناقض في عباراته خصوصا وأن اليهود لم يكونوا سوى أفراد مشتتين في جميع أنحاء العالم على حين كان العرب هم أصحاب فلسطين يضاف الى ذلك أن هذا التصريح لم يكن له سند في القانون أو العرف الدولى وليس له في التاريخ ما يؤيده من سوابق خاصة وأن فلسطين كانت عند صدور هذا الوعد جزءا من ممتلكات الدولة العثمانية ولم يبت في وضعها بصفة دولية ومن هنا فان الحكومة البريطانية قد أعطت لليهود مالا تملكه ، وخولت لنفسها حق التصرف في بلد ليست لها عليه أية ولاية .

ومع ذلك فقد قضت السياسة المرحلية في تنفيذ تصريح بلفور في طريقها في غير هوادة لاقامة الوطن القومى اليهودى في فلسطين كخطوة لانشاء الدولة اليهودية ، وتعاونت الحركة الصهيونية مع الحركة الاستعمارية وغدت بريطانيا أداة طيعة في يد الصهاينة .

## موقف العرب من تصريح بلفور :

في الوقت الذى قوبل فيه تصريح بلفور من اليهود بفرح بالغ وحماسة شديدة ، فان العرب استاءوا عند سماعهم بهذا التصريح استياءا شديدا ، اذ رأوا فيه اعتداءا على قطر عربى وسلبا لحقوق أهله ، وتسليمه لليهود ومن هنا سارعوا في الاتصال بالحكومة البريطانية تجاه عرب فلسطين .

وعلى الرغم من أن بريطانيا قد أكدت انها لن تسمح باسكان اليهود في فلسطين الا بالقدر الذى يتفق مع حقوق العرب وحريتهم السياسية والاقتصادية ، فان العرب وقد تزايدت ريبتهم نحو نوايا بريطانيا في فلسطين خاصة وأن هذا التصريح تجاهل ما سيلحق بالعرب من جراء فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتسهيل انتقال أراضيهم لليهود ، يضاف الى ذلك أن هذا التصريح قد عمد الى تجاهل عرب فلسطين الذين كانوا يمثلون ٩٣٪ من اجمالى السكان فلم يذكروا حتى بالاسم بل اشار اليهم بالجماعة غير اليهودية .

ونتيجة لذلك انعقدت العديد من المؤتمرات العربية التى أعلنت رفضها لتصريح بلفور ، وهجرة اليهود الي فلسطين وطالبت بالغاء الانتداب البريطانى على فلسطين ، وأعطاء أهل فلسيطن حق تقرير المصير [1]

## موقف اليهود من تصريح بلفور :

عد معظم اليهود تصريح بلفور خطوة نحو تحقيق تنبنوات كتبهم المقدسة ونهاية لالامهم ، وان عودتهم الى فلسطين أصبحت مسألة واقعية وكان من نتائج ذلك ما يلى :

١- جمع هذا التصريح اليهود حول هدف واحد هو اقامة وطن قومى لهم في فلسطين .

٢- اتخاذ الصهاينة من التصريح سندا قانونيا لهم في معظهم تحركاتهم ، وقد أسفر عن ذلك القبول الرسمى البريطانى بتشكيل لجنة صهيونية تجسد التشكيل المدنى الذى يعمل جنبا الى جنب مع الادارة

---

[1] الجدير بالذكر أن الزعيم الصهيونى وايزمان تمكن من انتزاع اتفاق خطير من الأمير فيصل بن الحسين ممثل المملكة الحجازية في ذلك الوقت تصمن اتخاذ جميع الاجراءات التى من شأنها تقديم الضمانات لتنفيذ تصريح بلفور وتشجيع الهجرة اليهودية .

لعسكرية في حكم فلسطين [1]

وبعد ان تم للإنجليز الانتداب على فلسطين وضعوا لها صك انتداب ينص على جعل فلسطين في حالة سياسية واقتصادية وإدارية تساعد على إنشاء وطن قومى لليهود فيها وتسهيل هجرتهم إليها ، وقد خذ اليهود بفضل ذلك وبتسهيل وحماية الإدارة الحكومية الإنجليزية يهاجرون إلى فلسطين ، ويمتلكون فيها الأراضى ، ويقيمون المستعمرات وينشئون المصانع ، ويضعون يدهم على مرافق البلاد ويحتكرون مشاريعها وكان الإنجليز كلما تحرك العرب للدفاع عن كيانهم والشكوى من محاباتهم لليهود يعمدون إلى استعمال القوة ضدهم أحيانا والخداع في أحيان أخرى . وفى عام ١٩٣٢ أخذ تيار الهجرة اليهودية يشتد مما جعل العرب يشعرون بخطورة الموقف فقاموا بإضراب عام طويل امتد ستة أشهر من عام ١٩٣٦ وانبثق منه ثورة قوية أزعجت الإنجليز واليهود معاً [2] فأرسلت الحكومة الإنجليزية لجنة عرفت باللجنة الملكية فاقترحت تقسيم فلسطين بين العرب واليهود وضم القسم المخصص للعرب إلى شرق الأردن وخصت اليهود بقسم كبير من غرب فلسطين يضم أجود الأراضى ، فثار العرب ثورة كبيرة ضد قرارات هذه اللجنة ولما كانت حالة أوربا في أواخر عام ١٩٣٩ تنذر بنشوب الحرب فقد عمد الإنجليز إلى تخدير الموقف ، فأعلنوا إلغاء التقسيم ، واعتزامهم إنشاء دولة فلسطينية واحدة يحتفظ فيها العرب بالأكثرية . وخلال ذلك استطاع اليهود إعداد العدة لمعركة فاصلة ، فإخذوا يهربون السلاح ، ويسارعون في الهجرة إلى فلسطين حتى وصل عددهم إلى ستمائة ألف كما أخذوا يطالبون بإنشاء دولة يهودية كبرى تضم جميع انحاء فلسطين . ولما أحس اليهود بتردد الإنجليز في إجابة مطالبهم تجنبا لاغضاب العرب خلال الحرب ، أثاروا حولهم المشكلات . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها دعا الإنجليز إلى مؤتمر لبحث القضية من جديد فاقترحوا تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وقد رفض العرب ذلك ورفعوا الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ . ولكن اليهود وأنصارهم نجحوا في بذل جهودهم داخل كواليس الهيئة حتى يتم التمكن من الأغلبية خلال التصويت على قرار التقسيم ، ونتيجة لذلك نال قرار التقسيم أغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ وامتناع عشر دول عن التصويت وكان ذلك في ٢١ نوفمبر ١٩٤٧ [3]

وقد رفض العرب قرار التقسيم رفضاً قاطعاً وأعلنوا ضرورة الجهاد ، مما جعل حبل الأمن في فلسطين يزداد اضطرابا . ومع أن المجاهدين العرب طلبوا السلاح من الحكومات العربية للدفاع عن فلسطين فإن هذه الحكومات لم تستعفهم بالإمدادات المطلوبة على حين أمد الإنجليز اليهود بكل مساعدة ، كما تمكنت السلطات اليهودية من استيراد السلاح ، وفتح الاعتمادات لإنشاء جيش كبير للدفاع . وانتهى الأمر بتفوق عسكرى لليهود نجم عنه احتلال العديد من أجزاء فلسطين ، واعلانهم لدولتهم في عام ١٩٤٨ وخلال ذلك اقترف اليهود العديد من الجرائم الوحشية ضد العرب الأمر الذى جعل العديد منهم يفرون مذعورين . ونتيجة لذلك قررت دول الجامعة العربية إرسال كتائب من جيوشها لإنقاذ فلسطين ، وبعد أن بدأت هذه الكتائب في الزحف على فلسطين تمكنت من احتلال الأقسام الشرقية والجنوبية التى لم يكن اليهود قد تمكنوا من احتلالها . وعندئذ تدخلت بريطانيا والولايات المتحدة لوقف زحف القوات العربية ،

---

[1] د. محمد عبد الرؤف سليم : المرجع السابق ١٠٠ وما بعدها

[2] دورره : مرجع سابق ص٦٩١ - ٦٩٢ .

[3] عن اليهود انظر في هذه الأثناء كمراب - بين سيوته سيتون وليمز : مرجع سابق ص١٦٩ .

فأرغما الدول العربية على عقد هدنة استغلها اليهود في تقوية أنفسهم استعدادا للجولة النهائية . ولما استأنف العرب القتال تمكن اليهود بمساعدة الضباط الإنجليز الذين كانوا يعملون في الجيش الأردني من كسر الجبهة العربية المصرية والاستيلاء على مواقع جديدة ، وعلى الرغم من عقد هدنة جديدة فقد كسرها اليهود بحركات حربية ضد الجبهة المصرية تمكنوا خلالها من الاستيلاء على النقب . وفي أعقاب ذلك تمكنت الدول الكبرى في مجلس الأمن من إجبار مصر ثم الأردن ثم لبنان ثم سورية على عقد هدنة دائمة مع اليهود الذين استولوا على جميع ما خصص لهم بجانب قسم كبير مما خصص للعرب في قرار التقسيم [1] وهكذا فرضت السيادة اليهودية على معظم الأراضي الفلسطينية فيما عدا أقسام متصرفية نابلس والقدس فضمت إلى الأردن ، كما عهد بقسم آخر وهو قطاع غزة إلى مصر .

ومنذ إنعقاد هذه الهدنة ، والعرب واليهود في صراع شديد ، نجم عنه حروب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ .

## الانتفاضة الفلسطينية واشراقة الأمل :

نتيجة لاذلال الصهاينة لأبناء الشعب الفلسطيني ، واستعمالهم شتى أنواع القهر والبطش والارهاب واحساس الفلسطينيين بضياع وطنهم وقهر ارادتهم وامتهان كرامتهم وتجاهل المجتمع الدولي لقضيتهم العادلة كان لابد من التضحية بالنفس والنفيس ، وابراز حقيقة الوجود الصهيوني في فلسطين ، ومقدرة أبناء الشعب الفلسطيني على مواجهة الصلف الصهيوني المدجج بالسلاح .

ونتيجة لذلك حازت الانتفاضة على عطف الرأى العام العالمي وكشفت حقيقة الكيان الصهيوني القائم على الارهاب والجريمة وعدم التورع عن قتل الاطفال والنساء مما أبرز القضية الفلسطينية ، وشد انتباه الرأي العام العالمي ، وشكل رعبا وفزعا كبيرين للسلطات الاسرائيلية التي تبين لها استحالة اعادة الأمور في الأراضي المحتلة الى ما قبل الانتفاضة فحتى داخل المؤسسة الاسرائيلية أحدثت " ثورة الحجارة " هزة عنيفة ، وأربكت خطط المحافظة على الأمر الواقع التي يبدو أنها كانت الاستراتيجية الاسرائيلية المفضلة خاصة لدى تكتل الليكود . وتبدو قوة الهزة التي أحدثتها ثورة الحجارة واضحة داخل الكيان الصهيوني في الجدل الحاد الذى ثار داخل حكومة ائتلاف العمل / الليكود ، وفي المؤسسات الشعبية ، ولولا مسحة التمسك بالوحدة الوطنية التي يحاول الزعماء الاسرائيليون جاهدين الظهور بها أمام العالم لانكشفت خفايا مثيرة ونتيجة لانعكاسات الثورة الفلسطينية على تركيبة المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة قدم شامير ما أسماه " مبادرة جديدة " تتضمن منح الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة حكما ذاتيا كاملا لتولى ادارة شئونهم من خلال أجهزة منتخبة على أن تبقى المسائل المتعلقة بالأمن والسياسة الخارجية في أيدى اسرائيل ، وأن يكون هذا الترتيب لفترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات ، تبدأ بعدها مفاوضات لتحديد مستقبل هذه المناطق ، وما اذا كانت سترتبط بالاردن أو باسرائيل .

وخلال الانتفاضة البطولية للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، وردود الفعل التي أعقبتها فتحت منظمة التحرير الفلسطينية الطريق امام امكانية تحقيق السلام في منطقة الشرق الاوسط عندما تبنت في عام ١٩٨٨ وفي دوره المجلس الوطني التاسعة عشرة قرارى مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ اللذين يعتبرهما العالم اساسا لتسوية النزاع مما فتح الطريق أمام التسوية السلمية ، وادى الى اعتراف العديد من الدول بالدولة الفلسطينية المعلنة .

---

[1] دروره : مرجع سابق ص١٩٤

وخلال ذلك راحت الجالية اليهودية الامريكية تتحرك باتجاه المنظمة لبدء الحوار معها مستعينة بحكومة السويد التى ابدت حماسا كبيرا لاستضافه مثل هذا الحوار [1]

وفى اعقاب ذلك اعلنت المنظمة انها على استعداد للتفاوض مع اسرائيل من أجل الوصول إلى تسوية سلمية ، وانها تتعهد بالعيش في سلام معها ضمن حدود آمنة ومعترف بها دوليا ، وانها تدين الارهاب . ونتيجة لذلك بدأت الولايات المتحدة حوار جوهرى مع ممثلى منظمة التحرير ، وكلف السفير الامريكى في تونس بهذه المهمة ، إلا أن هذا الحوار قد انقطع بعد أن استغلت امريكا قيام مجموعة عسكرية تابعة لأبى العباس بعملية على شاطئ تل ابيب في مايو ١٩٨٩ ، واعتبرت هذه العملية خرقا لشروط الحوار الفلسطينى الأمريكى .

وفى أعقاب حرب الخليج رأى الرئيس بوش العمل على تنفيذ القرارات المتعلقة بالشرق الأوسط وفى السادس من مارس ١٩٩١ اعلن الرئيس الامريكى جورج بوش عن مبادرته ذات النقاط الأربعة لحل مشكلة الشرق الأوسط وهى :

١- تطبيق القرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

٢- مبدأ الأرض مقابل السلام .

٣- الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

٤- الأمن والسلام لدولة اسرائيل .

وقد رحبت القيادة الفلسطينية بهذه المبادرة وقبلتها حكومة اسحق شامير بتحفظات منها رفضها مشاركة اوربا في عملية السلام ، ورفضها أن تمنح الأمم المتحدة أى دور في هذه العملية ، ورفضها فكرة المؤتمر الدولى ، ومطالبتها بمؤتمر اقليمى .

وفى مدريد ١٩٩١ كانت بداية البداية ، حيث بدأت موجه التفاؤل للوصول الى اتفاق حول الخطوط الرئيسية للحل ، وفى اعقاب ذلك بدأت المفاوضات الشاقة في واشنطن وخلالها تغيرت الأمور في اسرائيل حيث تولى حزب العمل بقيادة رابين السلطة ومع ذلك فقد ظلت المفاوضات متعثرة ، ومن هنا جاءت أوسلو كقناة خلفية للتفاوض بين الفلسطينين والاسرائيلين ، وفى اوسلو استطاع المسئولون النرويجيون أن يهيئوا الأجواء المناسبة للمتفاوضين حتى تم التوصل إلى الاتفاق ووضعت وثيقة لاعلان مبادئ على ضوء ما تم من مناقشات وفيما يلى نعرض لابرز موادها .

١- ان الهدف من المفاوضات هو التوصل الى اتفاق حول ترتيبات لاقامه سلطة حكم ذات انتقالية فلسطينية للمجلس الانتقالى الفلسطينى المنتخب لفترة مرحلية تؤدى إلى تسوية دائمة على أساس قرارى ٢٤٢ و٣٣٨ .

٢- لكى يتمكن الشعب الفلسطينى في الضفة وقطاع غزه من حكم نفسه وفق مبادئ ديمقراطية تجرى انتخابات عامة تحت اشراف دولى .

٣- بعد التوقيع على اعلان المبادئ تبدأ فتره مرحلية مدتها خمس سنوات تجرى خلالها مفاوضات الوضع النهائى لتغطى جميع القضايا المتبقية بما فيها القدس ، اللاجئون ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، السيادة ، الحدود ، واية قضايا أخرى ذات الاهتمام المشترك .

---

[1] محمود عباس ( أبو مازن ) طريق أوسلو - موقع الاتفاق يروى الاسرار الحقيقية للمفاوضات ، بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٤ ص٤٢

٤- بعد التوقيع على اعلان المبادئ يبدأ نقل السلطة من الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية الاسرائيلية إلى الفلسطينيين .

وبعد أخذ ورد من الحكومة الاسرائيلية والقيادة الفلسطينية وافق الاسرائيليون على الانسحاب من غزة ، وكان رأى ياسر عرفات ان القطاع لا يكفى ، ولابد ' ن ينسحبوا من مكان آخر في الضفة الغربية ، ومن هنا برز تعبير " غزة - أريحا " كمشروع متكامل مما فتح الباب على مصراعيه لبحث العلاقة بين المنظمة واسرائيل وكان نقله مميزة في بنود اعلان المبادئ واختبارا دقيقا لنوايا اسرائيل ومصداقيتها . وخلال ذلك طرح الوفد الاسرائيلى النقاط التالية :

١- الاعتراف بحق اسرائيل بالوجود بأمن وسلام .

٢- القبول بالقرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

٣- القبول بالتفاوض حول المرحلة الانتقالية والمرحلة النهائية والتفاوض هو الطريق الوحيد للوصول إلى تسوية سياسية .

٤- نبذ الارهاب .

٥- وقف كافة أعمال العنف والارهاب .

٦- الغاء مواد الميثاق التى تتناقض مع حق اسرائيل في الوجود أو تتعارض مع هذه البنود .

٧- استعداد ياسر عرفات بصفته رئيس منظمة التحرير لقاء أى مسئول اسرائيلى .

وبعد مناقشة الجانب الفلسطينى للنقاط الاسرائيلية وافق على بعضها وتحفظ على البعض الآخر مثل الغاء مواد ميثاق المنظمة التى تنفى حق اسرائيل في الوجود بحجة ان ذلك من حق المجلس الوطنى الفلسطينى ، كذلك فان الاشارة إلى وقف الانتفاضة والاحتلال لا يزال قائما يصعب تبريره ومن هنا جرى الاتفاق بأن عرفات يطالب في أحد خطاباته الجماهير الفلسطينية بالالتفاف إلى البناء والعمران والهدوء كتعبير عن المطالبة بوقف الانتفاضة

وفى ١٣ /٩/١٩٩٣م تم التوقيع على اعلان المبادئ في واشنطن ، فوقع عن الجانب الاسرائيلى شمون بيريز وزير الخارجية ، ووقع محمود عباس ابو مازن عن الجانب الفلسطينى بحضور عرفات ورابين [1] والجدير بالذكر ان اتفاق المبادئ لا يوجد في أى بند من بنوده اقامة دولة فلسطينية مستقله بل اتفق على حكم ذاتى انتقالى يشمل الضفة الغربية وغزة ، وان المرحلة الانتقالية لا تتوقف على ما يسمى بخيار غزة اريحا وانما يشمل كل الضفة الغربية وقطاع غزة .

وقد نصت المادة السابعة من الاتفاق على اقامة عدد من السلطات الخاصة بالكهرباء والميناء والبيئة والصادرات والأراضى والمياه ، وكلها سلطات فيها الكثير من سمات السيادة بالنسبة للشعب الفلسطينى وسارت الأمور إلى الحل بشكل طبيعى حتى تغيرت حكومة حزب العمل ، وحل محلها حكومة الليكود بزعامة " بنيامين نتنياهو " وتعثرت مسيرة السلام نتيجة لاصرار حكومة " نتنياهو " على بناء المستوطنات ورفضها لاتفاقيات السلام الموقعة مع السلطة الفلسطينية ، واعرابها عن رغبتها في عدم تنفيذ اتفاقيات اوسلو وعدم الانسحاب من الأراضى الفلسطينية المحتلة .

وتواصل مصر جهودها من أجل تقريب وجهات النظر بين الطرفين ، واقناع اسرائيل باهمية السلام القائم على العدل وحتى الآن تراوغ اسرائيل وتناور من أجل ابتلاع الحق الفلسطينى والسير على

---

[1] للتفاصيل انظر ابو مازن : طريق أوسلو .

الأشواك والتلويح بآلة الحرب وفى النهاية يمكن القول انه اذا كان الباعث الدينى يلقى التقدير لدى جميع المؤمنيين فلماذا لا تكون فلسطين قبله للمؤمنيين جميعا .